الموسوعة الحرة في تاريخ وأدب قبائل آل مرة

للراوي

فواز بن يحيا الغسلان

الجزء الثالث

فواز بن يحيا الغسلان

الموسوعة الحرة في تاريخ وأدب قبائل آل مرة

الجزء الثالث



الاسم: فواز بن يحيا فهد الغسلان البقعاوي.

الميلاد: من مواليد ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.

الشهاده العلمية: كلية اصول الدين بجامعة الامام في محافظة بقعاء ـ منطقة حائل.

الاقامة: الدوحه ـ قطر.

شاعر يمتاز بأسلوبه الخاص وقد عمل خلال السنوات العشر الماضية في تقديم البرامج التاريخية والتراثية لعدة قنوات تلفزيونية فضائية ومنها كل من:

المجد الفضائية ـ قناة الدانه ـ قناة الصحراء ـ قناة نايلات ـ قناة السفر العربي والان في قناة تلفزيون دولة قطر الفضائيه منذ ثلاثة اعوام.

وقد انتج ثماني نسخ كاسيت اصلية في نفس المجال تحت مسمى سلسلة نوادر التراث وهي منتشرة في العالم العربي.

الموسوعة الحرة في تاريخ
وأدب قبائل آل مرة

الموسوعة الحرة في تاريخ وأدب قبائل آل مرة

بقلم الراوي

فوّاز بن يحيا الغسّلان

الجزء الثالث

الموسوعة الحرة في تاريخ وأدب قبائل آل مرة

روايات تاريخية وأدبية
من الموروث الشعبي لقبائل آل مرة

للراوي
فوّاز بن يحيا الغسلان

الفصل الأول

الخصال النبيلة في آل مرة

(١)- الـزبـــن :

هو إدخال الشخص الذي وقع في جريمة أياً كانت لحين هدوء الأعصاب وعودة الفكر بعد الصدمة ويسمى (الدخل) ويسمى (الوجه) وغيره حسب اختلاف المسميات، وكانت قبيلة آل مرة مزبن ومجلاء للكثير من المطلوبين ومن يخاف على نفسه ويريد الأمان والأمثلة على ذلك كثيرة.

قال ابن عيسى في تاريخه ص٢٦٩ :

"وفي عام ١٣١٥هـ/١٨٩٥م وقعت الحرب بين آل حثلين وآل منيخر من آل مصيص من قبائل العجمان، وقتل في هذه الحرب الشيخ فلاح بن راكان بن حثلين وخالد بن فيصل بن حزام وعبدالله المتلقم قتلوهم آل منيخر، وبعد قتلهم لفلاح بن راكان وابن عمه وعبدالله المتلقم جلوا مع عربان آل مرة".. انتهى

وبقي آل سفران في مجلاهم هذا لدى قبيلة آل مرة قريباً من العشر سنوات إلى أن تم إصلاح ذات البين بين الطرفين.

فالزبين أو الدخيل هو الشخص الخائف الذي يلوذ بك عن خطر يخافه على نفسه. ويعتبر المساس بهذا الدخيل إهانة كبيرة للذي أدخله حسب العادات والتقاليد القبلية، ويطلق عليه (الحشم) فيقال فلان حشم فلان إذا تعدى على دخيله، وفاعله يسمى (الباعج) والباعج لا يحق له أن يزبن عند أحد أكثر من أسبوع واحد عقاباً له على حشمة لأحد أفراد القبيلة وأحيانا يكون جزاء هذا المتعدي على الدخيل هو الموت لما لذلك من إهانة وإذلال وانتقاص لقيمة الذي أدخله.

وقد مات الشيخ عقوب بن عفنان بن سويط من شيوخ قبيلة الظفير عندما غزاهم عدو وأخذ إبل جارته، وهي من قبيلة أخرى، فصاحت تنخاه ولم يكن بيده حيلة سوى الوقوع على وجهه صريعاً من القهر، رحمه الله. وقد قتل الفارس محمد بن جارالله في سبيل حماية دخيلة وهو القائل:

تصبح ذلولي على الهوذال مصلوبه

معاد حنيتها من كثر الاهذالي

ما قومي إلا دخيلي يوم قفوا به

قدهم على فجعة الضيفان دهالي

والله فلا عندنا لك كود مصبوبه

ما عاد ينطح خطاكم كود عيالي

كم واحد في نحانا يشتعل ثوبه

نثنيه عاد المحبب له تعزالي

وكان للباعج (الباعج الذي يتعدى على شخص بعدما دخل وزبن هذا الشخص في وجه أحد رجال القبيلة) أي أنه قطع العادات والتقاليد فهذا تكون مدته في الزبن أسبوعاً واحداً ولغيره شهرين واستمر كذلك وكان أول من زاد مدته هم اثنان من مشاهير آل مرة أحدهما عجيان بن لفافي العوير الغفراني والثاني حسن المريزيق البحيحي من كبار ووجهاء فخذ البحيح..

وفخذ المريزيق منهم عائلة (المحنا) الشهيرة بشيوخها الذين يقدمونهم البحيح كثيراً في حالات السلم والحرب وهو اسم غني عن التعريف لشهرته، ولا يشاركهم في ذلك سوى شيوخ (الصعاق) من آل سمرة.

ورغم شهرة عائلة (المحنا) ومكانتها الاجتماعية في القبيلة إلا أني لم أجد لها ذكراً كثيراً في كتب المؤرخين سوى ما كتبه هـ.ديكسون في كتابه (الكويت وجاراتها) ج١ ص٨٤، فهو الوحيد حسب اطلاعي المتواضع حتى الآن الذي ذكرهم..

ومن أشهر أحداث الزبن في القبيلة ما قام به علي بن حمد آل بنفوس الذي زبن آل شري بعد أن تركوا منازل القبيلة سبع سنوات لدى قبيلة الدواسر.

وهي حادثة تعتبر من أشهر حوادث الزبن في القبيلة. وآل شري من الغفران وقد جلوا عن القبيلة سبع سنوات لقبيلة الدواسر بسبب خلاف وقع بينهم مع أحد بطون القبيلة، وبعد سبع سنوات عادوا متضايقين من الغربة، فبلغوا المكان الذي يسمى (جودة) الذي كان ينزل فيه علي بن حمد آل بنفوس فجاءه كبار آل شري ضبان وخفيف، فقال أحدهم مخاطباً علي آل بنفوس:

جيناك ننشد عن محل دياركم

والزبن من بعد المدى يعنا له

فأجابهم قائلاً:

إن كان تنشد عن محل ادیارنا

فمنين ما دار البلا درنا له

فزبنهم سنة وشهرين، وهي المدة التي سارت عليها القبيلة والتي ابتدأها كل من عجيان بن لفافي العويري وحسن المريزيق من

وجهاء البحيح. قال الشاعر علي بن الحذلم آل عواجي من آل شري من الهادي بن زايد:

ضبان وخفيف جلو يا احمر العين

واللي نصو له يوم ربي بلاها

صوب النفوس وعلمهم له براهين

وأهل المواقف ما نسينا وفاها

والزبن مطبق الآن في جميع الأنظمة وإن كان بمسمى مختلف فتجد القاتل مهما كان حكمه فلا بد من سجنه عامين قبل تنفيذ القصاص، ويسمى حق عام أو حق الدولة، والمقصود من ذلك كله هو أن النفوس تهدأ وتعود الأفكار والعقول بعد هول الصدمة وتتغير الآراء والمطالب ويتنازل من كان في بادئ الأمر يرفض مجرد فتح الموضوع، وقد كثرت الأشعار ممن جلى عن قبيلته مثل قول الشاعر:

وا ونتي ونة الجالي

اللي جلى عن بني عمه

من أول عندهم غالي

واليوم مطلوبهم دمه

وقول سجوان الرويس العتيبي:

يا حمود ريضان الجماعه مريفه

واللي مع الاجناب عده على نار

ويمنى بلا يسرى تراها ضعيفه

ورجل بلا ربع على الغبن صبار

الطير بالجنحان ما أحلى رفيفه

واليا انكسر حدى الجاحين ما طار

والزبن قد يرى فيه البعض سلبية إلا أن إيجابياته أكثر من سلبياته، وكم من نفوس سلمت وكانت قاب قوسين أو أدنى من الهلاك لولا الله ثم حماية الأجواد لكي لا يقع الهرج والمرج في وقت روغان الذهن من هول المصائب والفجائع..

والشيخ عجيان بن لفافي هو صاحب القصة الشهيرة مع أحد شيوخ قبيلة الصيعر من قبائل الجنوب الشهيرة والذي فقد ناقته (سواده) في إحدى المواجهات مع العوير ونظراً لشدة حبه لها فقد ترك العودة لأهله وسار مع العوير لمجرد النظر لهذه الناقة الغالية ولو من بعيد وذات يوم سمع حنينها فقال:

على كل دان كبدي ضمان

هويا كبد الضمان اصبري

تمي أصيامش وايلا

جاش ألفطور أفطري

حنت سواده وانا

ونيت من خاطري

عند ذلك طلب الصيعري من عجيان أن يرد له ناقته سوادة فقط، قال له عجيان: إذا أعدت لك إبلك كلها ومعها سوادة هل ستغزونا مرة أخرى؟

قال والله إن لكم وجهي ألا أغزوكم إلى أن أموت، فأعادها عجيان بن لفافي له.

وهو موقف من مواقف الجود والكرم ومواقف الصفح والعفو والشيمة العربية التي اشتهرت بها قبيلة آل مرة. وتعتبر ضمن الألغاز العجيبة في سر محبة صاحب الناقة لناقته والذي بلغ مرحلة العجب. فلو كان الأسير ابن الشخص ربما لم يسر خلفه مع ظعون الآخرين لا سيما إن كان رجلاً له مكانته ولكن الإبل أمرها يختلف عن غيرها، وسوف نتطرق لذلك بتوسع لاحقاً إن شاء الله..

أقول: وأكثر الخلافات التي وقعت في أروقة قبيلة آل مرة الداخلية كانت بسبب التعرض للزبين أو الدخيل والذي يعتبر إهانة.

(٢)- الكرم :

عندما نتكلم عن الخصال العربية الأصيلة في أي قبيلة فمن المؤكد أننا سوف نبدأ بخصلة الكرم والجود والعطاء فهو أساس الخصال الكريمة جميعها، ويحتوي بمضمونه على باقي الخصال الأخرى. وكانت خصلة الكرم هي أول الدوافع لي للبحث في تاريخ هذه القبيلة العريقة. وقد لفت انتباهي أن أبناءها يسارعون بتقديم الدعوة لك أينما وجدوك صغيرهم مثل كبيرهم وفقيرهم مثل أثريائهم، والكرم جوهرة الخصال الإنسانية كلها بلا شك ويحتوي في مضمونه على عدة صفات من بينها:

١ - الإيمان بالله.

٢ - الشجاعة.

٣- الرحمة.

٤ - الإيثار على النفس.

وغيرها من الصفات النبيلة التي يتميز بها الفرد العربي المسلم، والتي جاء النبي ﷺ لإتمامها، كما ورد في الحديث الشريف والتي

أطلق النبي ﷺ بسببها سراح سفانة بنت حاتم الطائي وعلل ذلك بقوله:

(إن أباها كان يحب مكارم الأخلاق)..

وكان النبي ﷺ: "أجود الناس" هكذا عبّر ابن عبّاس رضي الله عنه عن شخصيّة النبي ﷺ، لتكون كلماته تلك شاهدةً على مدى كرمه – عليه الصلاة والسلام - وجوده، ولا عجب في ذلك، فقد كانت تلك الخصلة خُلقاً أصيلاً جُبِل عليه ثم ازداد رسوخاً من خلال البيئة العربية التي نشأ فيها وتربّى في أحضانها والشهيرة بألوان الجود والعطاء.

وتبيّن لنا أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها تحلّيه ﷺ بهذه الخصلة قبل بعثته بقولها الشهير: "إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف"، وكلها صفات تحمل في طيّاتها معاني الكرم والجود، وعندما نستنطق ذاكرة الأيام ستحكي لنا عن جوانب العظمة في كرم النبي ﷺ، يستوي في ذلك عنده حالة الفقر والغنى، وهذا البذل والعطاء كان يتضاعف في مواسم الخير والأزمنة الفاضلة كشهر رمضان، فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: "كان النبي ﷺ أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة" متفق عليه.

فالكريم مؤمن بالله وبالقدر خيره وشره وأن الله سبحانه وتعالى قد ضمن وتكفل بأرزاق عبادة قبل خلقهم وكتب ذلك في اللوح المحفوظ ولذلك فهو لم يخش الفقر في دنياه، وكان إيمانه أقوى من ذلك.

أما البخل فمن المعروف أنه عكس الكرم وهو عدة أنواع هي:

(أ)- الحرص.

وهو أن يحرص على عدم صرف شئ من المال إلاّ عند اللزوم الواضح الذي لا يمكن الاستغناء عنه ولكنه لم يقصر في فروضه كالزكاة ولا في واجباته كالنفقة على الأهل.

(ب)- البخل.

وهو مثل الحرص ولكن البخيل يقصر في واجباته بالنفقة على أهله وربما تجد أولاده أفقر الناس وهو أغنى الناس بل وربما يطلبون بعض حوائجهم من أقاربهم رغم ثروة والدهم.

(ج)- الشح :

وهو أخبثها لكونه يدفع للتقصير في فرض الله وواجبات عائلته، وتجده يطالب غيره في المحاكم الشرعية على شيء تافه لا

يستحق الذكر وهذا هو أخبث الأنواع الثلاثة وإن كانت جميعها ذميمة..

وكرم قبيلة آل مرة لا يستطيع جحوده كل رجل خالطهم عن قرب واطلع على طبائعهم النبيلة وخصالهم العربية الأصيلة ولعل أفضل الشواهد على ذلك ما قاله الشاعر المعروف فيصل الرياحي رحمه الله تعالى قبل وفاته بشهرين اثنين تقريباً عندما حضر في مجلس أحد وجهاء قبيلة آل مرة في قطر وأحد أقطابها المشاهير، وهو الدكتور علي بن صالح العضيبة، فقال قصيدته الشهيرة وهي:

هـبت هـبـوب الـشعـر يـا سمّاعـي
تلـف بالــراس وتهـــز أضـلاعـي

هــذي مــن عـيون الادب موسـوعه
يـشير إلهــا الــتاريخ بالاصــباعي

تحــيــة الـشعـر الرصـين الراقــي
مــا تقـبـل الأنـــصاف والأرباعـــي

تــرقص علــى روس الجـبال الـشمّخ
وان طـبت البـيـدا تهـــز القاعـــي

وان حركت موج المحيط الهادي

فالبحر بحري والشراع شراعي

شاعر وأميز فالعلوم بدقه

وان ماقتنعت بصدق صعب اقناعي

انا سعودي وأفتخر بملوكي

إخوان نوره فزعة المرتاعي

ما مثلهم فالشرق الأوسط كله

عيال عودٍ للمراجل واعي

عساه بالجنه يربع فيها

حيث أن له بقلوبنا مرباعي

وأحب حكام الخليج السته

حبٍ من الواقع ما هوب صناعي

منهم حمد بو مشعل اللي وفىّ

وكفىّ وذكره بالجزيره شاعي

أمجاده ومواقفه وأفعاله

سعى بها في كل ديره ساعي

يا حي أبو مشعل يا حي الدوحه

ليا جيتها معاد أبا المطلاعي

فيها لعكفان الشوارب سجه

مع طيبين الأصل والأطباعي

ما هيب سجة عالم منتهيه

الفكر جايع والعيون جياعي

حنا رجالٍ من رجالٍ تعرف

ما عندنا كذب ودنس وخداعي

عزالله انك يا بن قايل وافي

تعرف مزاجي وهدفي وأطباعي

عرفتني باللي يشرف عرفه

معرفته تشرى ولا تنباعي

رجلٍ قبل شوفه سمعت أخباره

باجيه لو ما رسل علي الداعي

ما فالجزيرة مثل علي المري

لو المراجل والرجال أنواعي

له سمعةٍ فاحت بعطرٍ فاخر

عطرٍ على كل المجالس فاعي

بالعود والعنبر وهيل الدله

والمسك والريحان والنعناعي

كلٍ يحبه يوم حبه ربه

حبوه كل الناس بالإجماعي

مقلاطنا في مجلس إبن عضيبه

وترحيب وعيالٍ لهم شعشاعي

يسوى حياة شعوب من تاليها

عاشت على التنويم والاقناعي

أوي فنجالٍ يقند رأسي

ليا صك فيه الهاجس الرماعي

في مجلسٍ ما بني مثله مجلس

فيه الشحم والعود له ذعذاعي

مجلس على بن صالح إبن عضيبه

مجلس ملك ما هوب مجلس راعي

علي على إسمه عالياً فالقمه

له فوق هامات العلى مطلاعي

حرٍ رقى فوق السحاب بحومه

عدل المناكب مخلبه شلاعي

يوم الصقور مبرقعه ما برقع

مخلوق حر ويرفض البرقاعي

مبهور من شخصية أبو صالح

شيخٍ مع الأبطال صيته ذاعي

دكتور علم ومعرفه ومحنك

ذكي صميدع فارسٍ شجاعي

راوي حكيم من الطراز النادر

ويميز الجزله من القشاعي

يكفيك وانته جالسٍ في جنبه

تسمع فنون الشعر والابداعي

وان جيت في باب الكرم وأوضاعه

وبتقارنه مع أغنياء وشباعي

بحرٍ تصب الاوديه بأطرافه

والأوديه فالبحر ما ها ضاعي

هذا محيط الجود راع النفعه

سموه شيخان العرب نفاعي

ياما نفع من عالمٍ محتاجه

ويا ما دعوله سجّدٍ ركّاعي

نهر تدفق ما يغلق نبعه

على شواطيه العرب شراعي

من روس صافين المعادن ربعه

مطوعين العاصي الطماعي

أل البحيح ان زعزعوا نخوتهم

صاب القلوب الساطيه زعزاعي

ركنٍ من أركان القبيلة شامخ

قبيلةٍ تاريخها ما ضاعي

آل مرة آل مرة ونعم آل مرة

مرٍ على كبد العدو قعقاعي

فيهم من الميزات ما لا يحصى

أخذ الكلام اللي على الاسناعي

اليا بغيت تصادق إختر مري

السلم وافي والصدور وساعي

صداقة المري تدوم وتنفع

مثل الدوى اللي يبري الاوجاعي

وليا بغيت تخاوي إختر مري

يدرى مناقيد الخوي ويراعي

وليا بغيت تقاصر إختر مري

قصيرهم في عالي الرفاعي

لكن عدوك لا تحطه مري

تروح لك روحه بلا مرجاعي

عدوانهم تحت اللهيب الحامي

لا شافعين ولا لهم شفاعي

آل مرة أهل الخيل وأهل النخوه

وسيوف هندٍ حدهن لماعي

الخيل صفرٍ كنها مسبوكه

سبك الذهب في حانة الصناعي

واللي عليها من عيال آل مرة

امهزعة صف العدا هزاعي

لطامة العايل حماة المجهم

سواقة العطفه على الدراعي

من صلب يام اللي عريبٍ جدهم

سباعٍ مغذاةٍ بدم سباعي

يا ويل والله من يجي بنحورهم

يوم الرصاص الحي له لعلاعي

وهي شهادة من شخصية مرموقة في الجزيرة العربية ومن قبيلة محايدة ولها الكثير من الاحترام والتقدير في صدور الجميع إلا وهي قبيلة (البقوم) ذات الشهرة الطيبة والصيت المجيد، كيف لا وهي قبيلة الجواد المكرم عايد بن محمد الهذيلي البقمي صاحب الأبيات الشهيرة التي يرددها الناس ولا يعلمون من هو قائلها الحقيقي لكثرة من تنسب إليه من شعراء القبائل وهي قوله:

عند الهذيلي دلة عجرفيه

فنجالها يسوى ثمانين فنجال

واللي يكذبني يسير عليه

حد ان راسي حي ما ضمه الجال

وهو القائل عندما كان مع أخواله – وهم من قبيلة أخرى – فقال له أحدهم: أبعد يا بوعطاير!! ويقصد بذلك رائحة الهيل والعود التي كان ينقلها معه دائماً فكان رده عليه:

يا لبايه آنا ما تعطرت بأرياح

يا كود ريح الهيل والزعفراني

وريح العويدي في دلالي السيا فاح

ومخالطه ريح الزباد العماني

وقصيرتي ما كثر عليها التسناح

لا غاب واليها عليها ألف اماني

وقصير بيتي غالي لين ينزاح

ادعيه للكرمه واجيه ان دعاني

وربعي هذيل مربحة كل مصلاح

شراية الغالي من المغلواني

كم واحد من ضربهم باللقى طاح

خلو عليه الطير يلعب غواني

ومن قصائد شعراء قبيلة آل مرة الرائعة قصيدة الشاعر بطحان بن عضيب آل فهيدة المري في آل هويمل آل عذبة وذلك تعبيراً منه بما رأى من كرمهم، وتقديراً لمواقفهم المشرفة والجليلة التي اشتهروا بها:

للطيب منهج والردى له مداخيل

يدخل على الطيب من أشوار الآنذال

الرأي ما يبدى لكل الرجاجيل

إلا الذي يفزع إلا صكك الجال

خل الهدف على الرجال المشاكيل

اللي تعينهم إلى حل بك حال

الطيب مثل الصبح لا دبر الليل

يكشف مذب الريع وتشوف الأمثال

والمدح ما يأتي بليا محاصيل

صبر على الشده إلى سرب الال

يا باغي البيضاء بروس الغراميل

والمدح والقالات تاتي بالافعال

اشهد شهادة آل عذبة رجاجيل

رجالهم يسوى ثلاثين رجال

عدل على العدلين ميل على الميل

هل ماقف لاجات صكات الاحوال

ومنصى إلى جاء اللي ظعونه مهازيل

إلى لفت تنزل على نايف الجال

كنهم على جيرانهم مرتع السيل

قصيرهم ما راح في قيل وقال

ما همهم كثر الحكي والدها ويل

قصيرهم ينزل على روس الاقذال

حلالة العقده تحل المحابيل

والراي يفتل ما شرك فيه عذال

تاريخهم معروف جيل بعد جيل

وأيضاً بهم تضرب الناس المثال

عذبية تعرف على ضمر الخيل

لا جاء نهار فيه قصاف الاجال

ومن أشهر الأمثلة في قبائل الجزيرة العربية على كون الإيمان بالله من دوافع الكرم قصة حجرف الذويبي من قبيلة حرب الذي نفد ما عنده من المال، وكانت زوجته تضغط عليه للغزو يميناً وشمالاً لكسب المال، وعندما خرج تحت ضغوطها المستمرة رأى في طريقه ثعباناً أسوداً أعمى من مرور السنين وهذا الثعبان أو الحنيش أو الداب في رأس ظلع مرتفع بعض الشيء فكان يخرج من جحره أو خبارته ثم ينصب رأسه عالياً فيصبح كالغصن اليابس لسواد جلده وشقوقه بسبب الكبر في العمر، فيأتي العصفور فينزل عليه معتقداً أنه غصن يابس فيلتقمه ثم يعود إلى داخل جحره.

كان في هذا المنظر عبرة وموعظة للقلوب الحيه مثل حجرف الذويبي، وكيف أن رب العزة والجلال لم يهمل هذا الداب الأعمى الذي يأتيه رزقه دون عناء ومشقة بالرغم من عجزه وفقدانه وسائل كسب الرزق بنفسه فرجع حجرف إلى بيته واستخار عن الغزو وقال:

يقول ابن عياد الذي بات ليله

ماني مسكينٍ همومه تشايله

انا اليا ضاقت علي تفرجت

يرزقني اللي ما تعدد فضايله

يرزقني رزاق الحيايا بجحرها

لا خايلت برقٍ ولا هي بحايله

ترى رزق غيري يا ملا ما يجيني

ورزقي يجي لو كل نفسٍ تخايله

جميع ما حشنا ندور به الثنى

وما راح منا عاضنا الله بدايله

فرجع عن مسيره هذا بعد أن أخذ درساً وعبرة وموعظة من هذا المشهد الذي حدث أمام عينه والذي زاده إيماناً، فلما انتصف الليل استيقظ من منامه بسبب أصوات الركائب والإبل فقام فزعاً ظناً منه أنهم ضيوف فوجدها ذوداً من الإبل عليها وسم غريب ليس للقبائل القريبة وهذا يعني أنها جاءت من منطقة بعيدة وكانت هاملة وضائعة فسارت حتى وقفت على بيته جزاء من الله تعالى له على إيمانه وثقته به..

والكرم يعتبر شجاعة للنفس التي تغلبت على أطماعها وحب التملك الذي يلازم الإنسان دائماً في دنياه. وأما من قال إن الشح وحب الذات مجبول عليها الإنسان فهذا غير صحيح لكون الكرماء أكثر بكثير من أهل البخل ولكن الكرم يكون بدوافع هي:

١- إيمان بالله ورجاء مثوبته.
٢- وثقة بالنفس.
٣- ورحمة بالقلب.
٤- وحياء في الوجه.

وهي أربع خصال تدفع الإنسان للبذل والجود ومن عاش عمره شحيحاً فهو فاقد لخصلة من الخصال التي ذكرت هنا.

وإليكم هذه الجواهر الحسان الثمينة التي قالها أكرم من عرف

بالعرب ومضرب المثل بالكرم والجود وهو حاتم الطائي عندما أخذت تلومه زوجته ماوية على كثرة بذله فقال قصيدته ومطلعها:

أماوي قد طال التجنب والهجر
وقد عذرتني من طلابكم العذرُ

أماوي إن المال غادٍ ورائح
ويبقى من المال الأحاديث والذكرُ

أماوي إني لا أقول لسائلٍ
إذا جاءَ يوْماً : حَلّ في مالِنا نَزْرُ

أماوي إما مانع فمبين
وإما عطاءٌ لا ينهنهه الزجرُ

أماوي ما يغني الثراءُ عن الفتى
إذا حشرجت نفس وضاق بها الصدرُ

إذا أنا دلاني الذين أحبهم
لِمَلْحُودَةٍ زُلْجٌ جَوانبُها غُبْرُ

وراحوا عجالاً ينفضون أكفهم
يَقولونَ قد دَمّى انامِلَنا الحَفْرُ

أمــاوي! إن يــصبح صــداي بقفــرة
مــن الأرض لا مــاء هــناك ولا خمــرُ

تــرىْ أن مــا أهلكــت لم يــك ضــرني
وإن يَــدي ممّــا بخِلْــتُ بــهِ صِــفْرُ

أمـــاوي إني رُب واحـــد أمـــه
أجــرتُ فــلا قــتل علــيه ولا أســرُ

وقال الشاعر صالح بن حلاص الفهيدي المري يذكر كرم محمد بن الزقيبا المري من آل بحيح:

يأهــل الهجــن يــا عــشاقة أكــوارها
لألفيــتوا مــن الغــربه وطــول المــسير

عــند بــيت الــزقيبا حطــوا قــشارها
لا تعــدون صــبي للنــشامى عــشير

مــا يجــي للحلــيله ياخــذ اشــوارها
مــا يطــيع الحلــيله أو هــروج الأمــير

حــنة العــرب عــند الــذبح لحــوارها
قــال هــذي عــوايدنا نطــيح الكــبير

ولذلك أقول إن التدين والكرم قرينان لبعضهما، فضعف الإيمان يقود للبخل، وكلما ازداد شح النفس نقص إيمانها. وقبيلة آل مرة تجمع بين التدين والكرم بشكل عجيب حتى كأنها فطرة وغريزة في نفوسهم، لذلك من النادر أن تقابل شخصاً من آل مرة ولا يقدم لك الدعوة، بل من المستحيل حدوث ذلك، وهي خصلة من خصال أهل الإيمان وخصال العرب الكريمة.. وأكثر ذبائحهم للضيوف من الإبل السمان والتي تكون جذعة في السن وسمينة في الجسم.

وهذه بعض الصور من مكارم الأخلاق التي يتصف بها أفراد قبيلة آل مرة التي أجملها الشاعر الفارس حمد الغيهبان الجابري بقصيدته التي عدد سجاياه وسجايا قبيلته، وهي من قصائد الغيهبان الحكمية التي شاعت أيضاً بين الناس لما تحتويه من معانٍ حسنة ومكارم أخلاق يحق لمن حازها أن يفتخر بها:

لى عــدّت أفعــال الــرجال فعــدّلي
مــن الجــود عــدّوا لي ثمــان خــصايلي

الأولـــة : نقّـــال عــجفـــا جـــاري
يــروح يمــدح جودتـــي وجمايلـــي

والثانية : ما نيب قنٍّ قامح

بين الرجال محايل ومسايلي

والثالثة : حماي خدر الجاذيه

حامي الثبار من الطمور الصايلي

والرابعة : عيد الركاب إلى لفت

لي جات من دارٍ لدارٍ هزايلي

والخامسة : قيدوم دهيا جردة

ضرّاب روس قبايل بقبايلي

والسادسة : نقّال سيفٍ أرخم

عابيه للعدوان والا العايلي

والسابعة : ما أصغيت صوب قصيرتي

ولاني عليها مراقب ومخايلي

ولاني بخاطي خايب من خايب

اللي على جاره يحط حبايلي

والثامنة : لبّاس ثوبٍ أبيض

ومن لبس ثوب الشاش يصبح طايلي

وبالناس غيري من فعوله تشهر

وكلٍّ بفعله بالمثايل قايلي

وهي تشبه نوعاً ما الوصايا العشر للشاعر محمد الدسم الدوامي السبيعي العنزي التي يوصي بها أخاه أبو زعزوع، وهي طويلة تصل إلى الخمسين بيتاً ومطلعها:

يا خوي لك عندي وصاة مصيبه

خذ لك وصاة تلمس العقل وتصيب

ترى وصاة الأخو ما به معيبه

لا صار أخوك مكمل العقل ومنيب

أخاف أموت ولا ضلال تجيبه

توزي لضيقات الدروب الضنابيب

وهي لا تخرج بمجملها عن الركائز المذكورة في قصيدة الغيهبان، وذلك لكون الوصايا بمدارات الحكام وعدم الاصطدام معهم، وهي مذكورة في قصيدة الدسم العنزي تعتبر داخلة في ركيزة العقل والرزانة.

وقال الشاعر سعيد بن علي المدحوس آل بريدي:

يا لله بقرم سنافي ما حسب هيله

مكثر طبخته والماء عرف قده

يصك نجره وراع الكيف يأتي له

ويقول ما راح عند الله يجي رده

ثلاث دلات مع زهبة فناجيله

تبري خوى اللي مشوش واصل حده

إذا ضوى الضيف بالشدات يومي له

وما حرمته عن دروب الطيب ترده

وقولي: (الدين والكرم) لأنهما خصلتان مترادفتان. فمن اقترب من ربه قل شحه وزاد كرمه لكونه أكثر إيقاناً من غيره بكون الدنيا فانية ولا خير فيها سوى صالح العمل عند الله.

وأما البخل والتدين فلا تجتمعان لكونهما متناقضتان، فمن ظهر الشح في طبعه وأصبح البخل من خصاله فلا تغتر بسيماه وملبسه لأن الجوهر لو امتلأ بالإيمان والغيب والقدر خيره وشره وأن

الأقدار مكتوبة والأرزاق مكفولة من رب البرية لما زاد حرصه على الكنز الذي يجور به عن الحقوق والواجبات وصلة الأرحام.

يقول أحد الشعراء:

الخوف ما زاد الليالي للذليل

ولا مات بالميدان من بارز بطل

والموت ما يقبل عن أصحابه بديل

ويا ويل من طاع الاماني والامل

يندم بها القاتل على دم القتيل

وكم ظالمٍ للناس حلمه ما كمل

ومن مات ما شال الجواهر في زبيل

ولا ينفعه مال الحرام اللي بذل

واللي يهز أسواق الأسهم بالصهيل

يصبح مثل ورد الربيع اللي ذبل

ولولا ضياع الكثير من الشواهد الشعرية التي تثبت كثير من الأحداث التاريخية التي تشهد على كرم ومروءة نفس الشخص

المري لكانت الآن تتربع على قمة كرماء العرب بلا منافس، ولكن ضياعها جعل المؤرخ والراوي لا يروي أكثرها لغياب شاهدها الشعري التاريخي، ولو كانت ثابتة من ناحية السند والنقل الصحيح.

قال الشاعر علي بن عدوة الهاجري بعد أن سمع رجلاً اسمه حمود يقلل من قيمة آل مرة عنده، ولم يعلم أن آل مرة أنساب علي وزوجته منهم، فقال ابن عدوه الهاجري يرد عليه ويدافع عن مكارم قبيلة آل مرة:

اشهد ان حمود ما عنده بصاير

ظن بن عدوه غشيم في نسيبه

ما درى اني له على العيرات زاير

وخابر ربعه مواقفهم تعيبه

وآل مرة سمهم بالعظم ساير

وخابرين فعلهم عند الحريبه

كم عقيد لا عرفهم راح ناير

نشرهم لا شيف ما كل يجيبه

جارهم ماخششوا عنه الذخاير

وكل منهم ناقتة تمنح قريبه

عادهم لا حولوا دون العشاير

جنبوها أهل الخزايز بالكسيبه

قال الشيخ صالح أبو ليلة شيخ فخذ الغفران من آل مرة عندما رأى البهم تسرح وتمرح في أثناء غياب ابنه محمد في سفر من الأسفار:

يآ ذا البهم تفرح بغيبة محمد

وعليك مردود النقى حين ياتي

حرٍ على ذبح السمينه معود

من طيب حاتم فيه كل الصفاتي

ولا يعني هذا أنه هو لا يذبح منها أبداً وإنما المقصود أن ابنه ذبح ابنه محمد منها يفوق الوصف ولا يحتاج لسبب من الأسباب لكي يذبح منها شيئاً.

وفي الكرم قال الشيخ الشهير راشد بن نديلة من آل حسناء من آل بحيح:

كم من خلوج تروم كاسع البيت

نذبح ولدها لخطار الزماني

يا ماحلا سوقهم إلى مني ألفيت

بفنجال بنٍ وهيل وزعفراني

ومن أشهر هذه الأفعال الكريمة ما فعله الجواد السخي ابن سندا رحمه الله، وهو من فخذ العذبة وقد وجد عائلة فقيرة وتعاني من شدة الجوع لدرجة أن أم هؤلاء الأطفال قد ربطت على بطنها حبلاً يشد البطن من شدة الجوع وهي مرحلة ليس وراءها سوى الموت جوعاً.

وكان ابن سندا لا يملك سوى ذلولة بنت (ظبيان) التي يرحل عليها في حوائجه للسفر ولا شي سواه. وعندما شاهد هذا المنظر أخذته الرحمة والشيمة العربية الأصيلة فذبح ذلولة التي لا يملك سواها وذلك لكي يطعمهم ويسد جوعهم في ليلة لا يراهم ولا يعلم بهم سوى الله تعالى. فهو لم يكن أمام الناس لكي يقال ربما أراد بذلك الرياء والسمعة. ولكونه فعل ذلك لوجه الله تعالى فقد انفتح عليه باب الرزق الحلال من الله جزاء لما فعل وأجره في الآخرة أجل وأبقى. ويقول الرواة من آل مرة أن ذبحه لذلولة كان سبباً في فتح رزق الله عليه بعد هذه الحادثة..

وقد ذكره الشاعر المعروف مبارك بن شافي المرسان الهاجري الذي كان يقدم النصائح الثمينة في قصيدته الحكمية، وكان من ضمنها أن لا يتزوج إلا من بنات الكرماء مثل حاتم الطائي وابن سنداء المري حيث قال فيها:

لا تاخذ إلا بنت ريس قومه

وحذراك حذرى من عشيبة دار

بنتٍ وأبوها مثل طيبة حاتم

والا ابن سنداء طيب الاذكار

قال الشاعر:

يقولون ابن سندا من أي العرب يا فلان

نشوف السوللف خيلها زايدن هذبه

وأنا أقول من مره ولد يام بن همدان

شبيبي من ألفاضل ومنشاه بالعذبه

ذبح ناقته في شدة الجوع لليتمان

ولا خاف من هرج الخلايق ولا شذبه

ذبحها لوجه الله وطيب وصخى واحسان

والأفعال تفضح حاسد الناس مع كذبه

وكذلك ما حدث للشيخ جار الله (صميخ) اللفافي من العوير عندما رأى الضيوف ولم يكن لديه في تلك الفترة سوى ناقته (سويده) وكانت في وقت ولادتها، فذبحها في ذلك الوقت حتى أنهم أخرجوا حوارها سحباً قبل موتها وفعلاً عاش.

وكذلك ما حدث لكل من الشيخ صالح بن درعة والشيخ صالح الدماغ وهم من الغفران إذ أنهم نزلوا في الصيف قريباً من بير فاضل وعندما انتهى الصيف وأرادوا الرحيل ثبت أن كل واحد منهم ذبح خمسة عشر من الإبل خلال فترة الصيف أي ما يعادل بعيراً كل أسبوع، وهذا ضرب من ضروب الكرم والجود لا يكاد يضاهى ويضاف إلى مفاخر هذه القبيلة العربية الأصيلة.

نعم هناك من بالغ في عدد الإبل وهناك من قصر ولكن الذي شهد به الثقات من جميع فخوذ القبيلة هو ما ذكرته هنا. وهو كما قلت رقم لا يستهان به فقد كان الرجل يخاطر بحياته من أجل ناقة واحدة..

(٣)- تقديم الشجاع . .

كان الناس سابقاً في المجلس عند تقديم القهوة في مجلس القبيلة الرسمي وهو مجلس شيخها ويقدمونها حسب الأفضلية والمكانة لكل فرد من أفراد القبيلة تشجيعاً منهم لأفراد القبيلة للجد والاجتهاد لكي ينال شرف تقديمه لأحد الفناجين الثلاث الأولى ذات المكانة لديهم.

وقد أجمعوا على أنها تكون لكريم القوم وعقيدهم وشجاعهم. وعقيد القبيلة غير شيخها ويطلق هذا اللقب على القائد المحنك الذي يفهم خطط الحرب وطريقة إدارتها، ولديه حظ طيب يتفائل به أبناء القبيلة فيقدمونه قائداً لهم ويعقد له لواء هذه السرية.

واختلفوا في ترتيب هؤلاء فيما بينهم. فهناك من يقدم الكريم والآخر يقدم الشجاع وغيره يقدم العقيد. وكان العامة من قبيلة بني مرة يقدمون الشجاع على غيره كما هو ظاهر لكل من تتبع أحداثهم التاريخية، وسوف نستعرض وجهات النظر لبقية القبائل في الجزيرة العربية، فمثلاً الشيخ ذعار بن ربيعان العتيبي رتبهم في قصيدته الشهيرة بقوله:

صبه لمن هو تنثر الدم يمناه

يثني جواده عند راعي اللدوحي

والثاني اللي ما تونى مطاياه

يضوي اللي صكت عليه النبوحي

وعده لمن عوص النجايب تنصاه

ريف لهن لا جا الزمان الشحوحي

دب الدهر يضحك عجاجه لمن جاه

وقت المعاسر ما رد ما يزوحي

وباقي رجال فحول نسوان ورعاه

ضباط مال وحافظين السروحي

وهنا نرى ترتيب الشيخ ابن ربيعان للثلاثة على هذا النحو: الشجاع ثم العقيد ثم الكريم وهذا يوافق رؤية بني مرة.

في حين أن الشيخ هايس بن مجلاد العنزي قال:

عده لمن قاد السرايا للاجناب

له مفرس يشبع به الطير والذيب

والثاني اللي وان لفا بيته ركاب

قدام بيته مثل جزر القصاصيب

والثالث اللي وان غشى الزمل ضبضاب

يرخص بعمره دون زمل الرعابيب

وباقي العرب يكفيهم التول ون شاب

قضابة المجلس حمير المشاعيب

وقد أعطى هايس بن مجلاد أول الفناجين للعقيد ثم الكريم ثم الشجاع. أما الشاعر زيد بن سلامة الخوير التميمي فقد قال في قصيدته المشهورة:

صبه لمن يثني خلاف المقافي

يوم الفرنج يقذِّف الملح تقذيف

ونفَّل بها اللي للمروات وافي

ما دوَّر التَّجْرات به والمصاريف

اللي ليا غليت شراها جزافي

ما رطّله عند الدلاليل بنصيف

وكما ترون فقد جعل الأول الشجاع الذي يثني خلاف المقافي ثم الكريم، ولو أردت الاسترسال في مثل هذه الأمثلة لبلغت المائة

قصيدة في هذا المجال الطويل ولكني أكتفي بذلك كنموذج يستدل به وفيها راحة وفائدة للقارئ الكريم..

قال عبدالمحسن بن فطيس:

يا الله يا رازق قليل المحاويش

ونفسه من الطلبه طموح معيه

لا عاد لا دوجه ولا به مطاريش

واللي تبي عيني بعيد عليه

الزمزميه ما تقهوي مشاويش

الله ولا رزق وراء الزمزميه

يا زين شبتها قبال المداغيش

وفز من المقهاه والضو حيه

برية لا ناشت الضو تنويش

تفهق ولا هي يوم تفهق بنيه

تبرد وتوضع في كبير المهابيش

نجر يصوت للقلوب الشقيه

في مجلس ما فيه صجه وتشويش

وسوالف لاجات لا هي طريه

وخصوم الزمزمية كثيرون في القبائل لا سيما في جيل كبار السن ولو أن الجيل المعاصر تكيفوا مع معطيات الحضارة ويرون أنه لا بأس بها إلا أن ذلك لا يمكن أن يروق لكبار السن أبداً وهو الأقرب للذوق العام فعلاً..

وإليكم هذه الأبيات التي قالها الشاعر سالم بن خرمان العجمي في مدحه للشيخ فيصل المرضف من الجابر، وكيف يصفه بصفات الكرم والجود في مخاطبته لناقته:

روحي بي يا بعد روحي وحالي

روحي والشمس ما كمل سفرها

تعجب اللي يتبع الجيش الغوالي

لا شبح في وجهها وإلا دبرها

واذكر الله كنها وصف الهلالي

طامح ما وافقت للي حجرها

ما حلا غب الصلف شوف الدلالي
فوق ضو اللي محاصيله دمرها

دار يام اللي تزبن كل جالي
والحفيف اللي على نشره خطرها

قلطوا لي مسند وانساح بالي
والمقهوي صبته لي ما عسرها

والشوايا شوفها بيد العيالي
ذا دبر لامه وذا عندي صهرها

قال ديكسون في كتابه (الكويت وجاراتها) ج١ص٨١:

"إن أعظم شرف يفعله المري لضيفه أن يذبح له جملاً صغيراً ويغليه بحليب أمه.

وأن المري إذا أصبح صديقاً يبقى صديقاً إلى الأبد. وأن طريقتهم بالحرب ترتكز على استدراج العدو إلى الصحراء والقضاء عليه. وأن المري يتدرب على البقاء دون ماء لفترة طويلة".... انتهى

هذا النقل جمع الكرم والوفاء والصبر والشجاعة. فالكرم في ذبح الإبل التي كانت القبائل تتقاتل من أجلها ويبذل الرجل روحه

من أجل كسب ناقة أو ناقتين، ومع ذلك يذبحها لأجل الضيف إكراماً له وعملاً بما اشتهرت به قبيلة آل مرة كغيرها من القبائل التي سارت على نهج الكرم العربي الأصيل.

أما الوفاء فهو في قوله: "إنه يبقى صديقاً" ويقصد أنه لا يخون الصداقة لأي سبب كان في حين أن هناك من يعطي عهد الله ورسوله ثم يعود ويخون هذا العهد رغم تحريم ذلك في الشرع واحتقاره في الطباع والتقاليد العربية الأصيلة.

أما الصبر فهو في تدريب النفس على الشدة وعدم تعويدها على الرخاء واللين لأن هذه الخصلة هي التي تميز ابن البادية عن غيره، فهو يدرب جسمه على أي أمر طارئ يحتمل حدوثه في البيئة الصحراوية ذات المناخ القاسي والمتقلب. فالرجل قد يأتي إلى المكان الذي يوجد فيه الماء ولا يجده. إما أن يكون غديراً قد جف ونشف أو تمكنت منه قبيلة معادية أو يكون بئراً قد تم دفنه أو غير ذلك من الأمور المحتملة كثيراً فهو يستطيع الصبر، وكذلك تجد لديه طرقه الخاصة في إيجاد البدائل لذلك.

وأما الشجاعة فهي في استغلال عنصر الصحراء التي يعرفون أسرارها ومداخلها ومخارجها كعنصر إيجابي في مصلحتهم عند الحروب مع الأعداء، فليس كل بدوي يستطيع التأقلم والتكيف مع صحراء الربع الخالي بالذات لغموضها وخطورتها وكثرة المهالك فيها.

(٤)- الفزعة والحمية :

كلما نقصت النخوة في نفس الرجل كلما كانت دليلاً على نقص رجولته. فالفزعة لمن صاح يرجوا المساعدة تعتبر من خصال النفوس العزيزة. وإن كانت هذه الخصلة تعتبر من الخصال التي ضعفت وأخذت بالانقراض شيئاً فشيئاً من نفوس الناس ولم تعد حرارة الرجل وثورته مع من نخاه هي نفس ما كانت عليه سابقاً بل ولا تصل إلى النصف ولهذا قال أحد الشعراء:

ولا تشكي على غيرك ولو تفقد لذيذ النوم

مضى الجيل الذي يفزع وراك ويرحم الحالي

الا ياكثر من يشكي ويرجع بالندم ملطوم

وطيب اللي مضو يخلف هقاوي جيلنا التالي

وليت اللي عجز يفزع يفك القلب كثر اللوم

مدامه ما فزع فزعة عزيزن تشرح البالي

فلا تلقى من الشكوى رفيقن ينصر المظلوم

ولا انته كاتمن جرح الخريف لشهر شوالي

واثاري طبعنا الماضي بعيد عن طبوع اليوم

ومن ينخى عيال اليوم يصرخ بالخلا الخالي

بيوت أهل الصخى والمجد والنخوه نعاها البوم

وكان اللي يقول القول يثبتها بالافعالي

واخبر الفرق ما بين النشاما وأمهات وشوم

بفزعات الرجال اللي تخوض بحور الاهوالي

علام أهل الصخى تشمت بحال الضايق المهموم

ولا تفزع لمن يشكي هموم الوقت بريالي

ظهر تسكين حرفن كنت اظنه دايما مجزوم

وجزم الفعل ما يثبت ويرسي كود برجالي

نسيت ان الخبر دايم لطولات العرب مضموم

ومن يهمل خبر كانا خذى بالطيب منزالي

وانا ما ني مع التشديد مع بابن غدى مردوم

وكسر الباب ما يفتح قلوبن فيها الاقفالي

خطاي اني جمعت اللي غدى عند العرب مقسوم

وطيب الجاه من عفن المراجل ما تهيا لي

وفزعات قبيلة آل مرة كانت ولا زالت من مميزات الرجل المري اليامي الهمداني فمثلاً سبق أن تحدثنا عن فزعتهم لأهالي الدلم في وقت الدولة السعودية الأولى، ولو ذكرنا فزعاتهم مع العجمان كنموذج بسيط لكانت كافية. فقد شارك أبناء قبيلة آل مرة جنباً إلى جنب مع أبناء عمومتهم العجمان في أغلب معاركهم ومواجهاتهم الشهيرة وإن كان الناس يجهلون ذلك ويتم ذكر هذه الانتصارات على أنها للعجمان فقط، والسبب في ذلك بنظرهم عدم ذكـر آل مرة في قصائد الشعراء إطلاقاً. وهذا النفي غير وجيه لكون الشعراء يكتفون بذكر (يام) للكناية عن القبيلتين سوياً، وهو أسهل من ذكر العجمان وآل مرة بالاسم في قصائدهم مثل قولهم (سربه يامية أو فرسان يام) فيكون الذكر باسم يام لكي يعبر عن آل مرة والعجمان جميعاً.

كقول الشاعر في الرياحية:

(سقنا عليهم سطام الموت يا ميه)

وكان الشاعر يستطيع أن يقول (عجمية) بدلاً من (ياميه) فهي على نفس الوزن ولا يختلف بناء البيت الشعري، ولكنه كان قاصداً قوله (ياميه) ومع ذلك وجدت بعض مؤرخي العجمان ينكر تواجد آل مرة فيها مع أن ذلك واضحاً كل الوضوح للمنصف.

وإذا لم تشارك آل مرة معهم يكون الوصف باسم العجمان وهذه قاعدة، فكل معركة يذكر فيها الجيش باسم يام فهو يعني اشتراك القبيلتين، ومن تتبع القصائد التاريخية سيجد أن ستين بالمائة منها كانت تقال في مدح فرسان يام وهو أمر يفيد اشتراك قبيلة آل مرة جنباً إلى جنب مع العجمان. ولذلك لا يصح نفي مشاركة قبيلة آل مرة بسبب عدم ذكر اسمهم نصاً وهذا أمر عام يفهمه جيداً المنصف من المؤرخين الذين اطلعوا على تواريخ يام وتفاصيلها. ولهم عدة فزعات رجولية شجاعة مع أبناء عمومتهم العجمان، ولعلنا نستعرض نموذجاً من هذه الوقفات البطولية برواية الشيخ الدامر أحد أشهر رواة قبيلة العجمان في روايته لمناخ قدام:

مناخ (قدام) عام ١٢٦٤هـ- ١٨٤٨م:

وهو أشهرها وأقواها على الإطلاق وسيبقى في ذاكرة التاريخ للأبد. بالرغم من كونه لم يذكر في كتب التاريخ الشهيرة التي دونت أحداث وحروب نجد، ولم يذكر إلا في الروايات الشفهية للرواة ولا أدري ما هو سبب إغفال هذا الحدث بالرغم من قوته.

بعد قيام الإمام فيصل بن تركي بقتل الشيخ فلاح ابن حثلين عام ١٢٦٢هـ- ١٨٤٦م ويقال إن الشيخ فلاح بن حثلين قبل أن يتم إعدامه قد انتخى بفخذه من الناجعة من العجمان ثم انتخى بالعجمان

كافة ثم انتخى بيام كافة ثم انتخى بمحلفهم قحطان، وكان هناك رجل من قحطان سمع ابن حثلين عندما انتخى بقحطان فجاء الخبر جمل ابن لبدة الفارس الشهير من قحطان والذي أقسم أن يأخذ بثأره وقال قصيدته المشهورة:

يا طير يا للي بالخضيرا لا تغيب

ابشر بميعاد العشى رف الجناح

عسى من البرهان يكتب لك نصيب

وإلا من الدوشان ذباحة فلاح

وخلفه أخوه الشيخ حزام بن حثلين (عم راكان بن فلاح بن حثلين)، وعام ١٢٧٦هـ الموافق عام ١٨٥٩م، وبعد أن أمضى الشيخ حزام بن حثلين حوالي خمسة عشرة عاماً زعيماً لقبيلة العجمان وتنازل عن زعامته لابن أخيه الشيخ راكان بن فلاح بن حثلين، بسبب كبر سنه. فالمناخ كان في فترة زعامة حزام بن حثلين. ومن قال إن هذا المناخ كان ثأراً من العجمان لمقتل فلاح بن حثلين لم يصب الحق ولا يستوي مع الحدث. فلو كان العجمان هم الغازين لقلنا نعم ولكن مطير ومن معها هم الذين غزوا العجمان والموقع في وادي العجمان فكيف يتم هذا الزعم؟ قال الشيخ الدامر – بنفس نطق الراوي –:

(قدام) ضلع شرقاً من حنيذ وتسمى هذه الوقعة بمناخ قدام والذي جمع ثلاث أو أربع جموع من بعض القبائل، وكان العجمان بقيادة: ١- الفارس حزام بن مانع ٢- والفارس محمد الطويل.

والطويل كان هو زمام الأمر كله وكان العجمان قلة وضايقوهم ولا عاد تعدت خيل العجمان بيوتهم وماوتوا وحفروا قبورهم عند أطناب بيوتهم والعدو أخذ يستدير بهم، ثم أرسلوا العجمان لآل مرة يستفزعون بهم ونوخوا على الشيخ علي المرضف وجاب آل مرة واللي معهم من كبارهم ومن آل مرة قسم ليس بكثير من العجمان، ويوم أراد الله يفرج عليهم فإذا بذاك الخيال قد أقبل من جنوب ينشد عن محمد الطويل، ويوم جاء عند الطويل قال ابشر بالمرضف قده ذا واصل قال الطويل: يا هندي رح للمرضف وخله ينزل العرب ويقلط علينا للقهوة والعشاء، راح هندي للمرضف وسلم عليه، وقال: الوالد يقلطكم للقهوة والعشاء، وخل العرب ينزلون، قال المرضف: ذا الخيل المتوافقة غرب بيوتكم منهي له، قال هندي: هذي خيل العدو، قال أخو صبره ما عاد عينت لها خيل تردها؟

رح لأبيك وقله ترانا بنسلم عليهم قبل ما نسلم عليه.

رجع هندي لوالده وأخبره فقال الطويل:

فزع خيلنا معهم وركضوا عليهم وصاحوا عليهم صيحة لين قامت الخيل تطمر أطناب بيت قائد الجموع ولا سندوا إلا ومعهم

خمسة وثلاثون قلاعه وعرضوا قدام بيت الطويل، ونزلوا: قال المرضف: يا عيال روحوا نزلوا أهلكم وسنعوهم أما حنا يا لشيبان قد حن بنتقهوى عند محمد الطويل وارجعوا علينا للعشاء.

وبعد ما ركد الكلام وإلا واحداً يصوت يا علي يا علي المرضف قال من ذا؟ قالت أنا سلمى بنت محمد الطويل ويشهد الله وأنت وأبي إني مقدمت روحي لك زوجه وجائزة على ذا المركاض لا من انتهى اللازم.

قال المرضف: "جعل ابيش في النار ما اكذبش ولا جابني عشقش غير تبيني للقتل وأنا ما جيت إلا أدور القتل والا اني جاي من الربع الخالي ما يخالط ابلي إلا النعام والوضيحي والصيد، ويوم علمت انش وبنات عمش تلوحون بشيالشن وتقولون يام يا سترنا يا علي يا سترنا عفت الحياة وجيت أدور الموت والصبح علي الطلاق يإذا العرب ان يقفون وراهم والا ما عاد تعينون إلا قطع جوختي على روس الغضاء".

وهذه الرواية مطابقة لرواية المؤرخ الشيخ عبدالله الدامر من العجمان. فقال عبلان قصيدته الشهيرة ومطلعها:

في قـاعــة قــدام مــن جـنـوب

نوخــنـا وحــزمنا العــضـاد

بــاع الــروح بــيع المرخـصـين

وحطيــنا لــه الــشقراء وســاد

وانـــا وربعــي موطــية الــنجوس

إلا مــنه نهــق عيــر الرشــاد

وهذا موقف واحد من عدة مواقف شبيهة لا تقل عنه قوة وحمية وشجاعة. وكنت أتمنى أن الشاعر قد ذكر علي المرضف وقبيلته آل مرة الذين جاؤوا في الوقت الضيق الذي كان العجمان في أشد الحاجة إليه ولا يكتفي بقوله صبيان يام. وصحيح أنهم أبناء عمومة وطيبهم لبعضهم إلا أن مثل هذه الفزعة تعتبر من النوع الثقيل جداً، وذلك لكون الخصوم لم يهجموا على العجمان طمعاً في الحلال، وإنما كانوا يقصدون القضاء عليهم نهائياً لا سيما أنهم اجتمعوا من أربع قبائل قوية.

وقد وصفها الشاعر عامر بن حمد بن نوطان الجابري آل مري بقوله:

يـا راكـب اللي مــن الـدرهـام قفالـي

بالليل تـسري وطـول الـصبح صلابـه

هجـنٍ إلا مـن شعفها الصوت تجتالي

تـشدي لـشراد ريـمٍ صـاعه ذيابـه

من فوقها من يبوج المشبر الخالي

وان هابوا الناس عسر الدرب ما هابه

تنصى لنا اللي مع الطرشان وصالي

والموعد اللي طلب منا حضرنا به

سلم على أهل الوفا ذربين الأفعالي

اللي لكل الفخر والطيب كسابه

اللابة اللي توطي كل عيالي

واللي نزل في حماهم خاب طلابه

ربعٍ لهم في سنام المجد منزالي

صعبٍ على كل رجالٍ تهقوابه

عدوهم لا ذكرهم في خلا خالي

من شدة الخوف نومه ما تهنا به

صبيان يامٍ حماة العرب الاجهالي

كم طامعٍ جا يبيها واخذت ركابه

المال دونه رجالٍ ترخص الغالي

حامينها يوم كلٍ رزقه نهابه

الا نصاهم ضعيفٍ زمله هزالي

كنه بعالي جبال طويق وهضابه

مطوعة راس من به زود وهبالي

متبينٍ بالخطا والحق عيا به

أهل بيوت بها للضيف مدهالي

ومعزبٍ يبهج الخاطر برحابه

وإن كدر البال شيٍ ما تشافالي

سليت سيفٍ تنومس قضبة نصابه

صوت ليامٍ إلا من حدك الجالي

وأبشرك لا رفعت الصوت بالثابه

يامٍ عمود الذرا في كل الأحوالي

والبيت لولا عموده طاحت أقطابه

غارٍ يذري وتلقى فيه مقيالي

وغارٍ إلا جيت صوبه ما تذرابه

ما هي تذل الصعايب كون برجالي

وتصبر على الهون يمنىٍ مالها لابه

كيف ادرك العز وانا فرد والحالي

ما يدرك العز رجلٍ قلوا أصحابه

إن ساعد الكف قوا الزند من عالي

والا قصر شبرها عما تهقوابه

جات الحمايا وسقنا الحال والمالي

وسقنا المظاهير من يبرين وترابه

ما عاد حن نستمع في كل عذالي

واللي تغيب بعد ما عاد كنابه

خيلٍ تنازي بشيبانٍ وجهالي

وحبل الرسن ما يجود فيه قضابه

وضاع العقل من رجالٍ كان عقالي

ومن الضجر كنهم للخمر شرابه

لعيون غرٍ تهل الدمع زلالي

ويقول (علي المرضف) ما لي الابه

تقدم الجمع عاد ألفي ما مالي

هذاك يومٍ على العدوان يدعى به

خذنا ثلاثين اصيلٍ سوقها غالي

من فوقها كل شغمومٍ رمينا به

لعيون سلمى هزمنا كل جمالي

واقفى وخلا الحريم ونارت كلابه

حريمهم تنتخي من قلة الوالي

والمال همل وحنا اللي حظينا به

الشيخ (ابن جمعه) لنا دز الارسالي

من هجرة عريعره وصلتني ركابه

يا مرحبا يوم مرسوله تعنالي

والجيش جا والشلايل جات برقابه

عيناك يا للي عيونه سهرها طالي

من كان حن فزعته نومه تهنا به

سرنا عليهم بتكبير وهلالي

والروس تحذف (وابن جمعه) يثارابه

وهذه قصيدة أحد شعراء يام البارزين، وهو الشاعر سالم بن خرمان العجمي يمتدح جيرة الجابر والشيخ فيصل المرضف ويصف ما وجد بينهم من الإكرام والتقدير وحسن الجيرة.

يا راكب من فوق حيل بواتيع

مع النهار الليل تسريه كله

ادايب لا قيل هيا مطاويع

ما ركب فوق ظهورهن كل فله

لا قيلوا ما قيل وين المراقيع

ولا قرب الرقاع سيره يبله

لا حل في هلهن تميري وتنزيع

ماش قصر منهن ولا ش يزله

ارخوا لها الارسان واخفن مخاضيع

يبغون زول نازح وانتحن له

بأذكر لكم يا مدورين المنافيع

بيت الشجاع اللي رفيع محله

بيت لهشال الخلا فيه تسنيع

واللي تقلبه الروابع هل له

بيت المرضف شوق بيض مفاريع

تفرح به اللي روحت مستخله

لا جات ممشاها تكيبي وتكويع

من بعد طرقتها تشادي الأهله

هلها جياع والمزاهب مقاويع

وقت العشاء والشمس قد هي مظله

يعبا لهم من غالي البن تنويع

ومقرح جسم العمد ما يشله

حر ومن ماكر حرار قواطيع

تذبح جميع الصيد دقه وجله

يا مية ترحل ولا هي زواريع

كم شددوا من حلة صوب حله

صاروا مع المضروس مثل المقاليع

ينزل ويبطي فاجهم ما يمله

هل سربة ترخي حبال المصاريع

ترد البلاء ما عودت مستذله

خيالهم لا ناشع الخيل تنشيع

راحت بشره وادرك الخير كله

الطيب بالأجواد مثل التباضيع

والتبع كبه ما يثمن مشله

وفي مقابلة مع الشاعر راشد بن حسن بن الذيب العجمي قائل القصيدة الشهيرة، ومنها قال:

قالها ابن الذيب من هاجوس باله

كلمةٍ يلعب بها والبال زيني

قالها يومه طراله ما طراله

من هواجيسٍ تشيب المرضعيني

حالف ما خذ على الطرقي رياله

وبالثلاث محرم انه ما يجيني

لا لقيت اللي على (السكه) لحاله

يلتفت ويقول وين المستحيني

أوقف الموتر حيا وأبي الجماله

يومولد اللاش وجهه ما يليني

الطمع في كروة الرجلي رذالة

خص وان جابه مجال الغانميني

والردي في حالةٍ ما هيب حاله

وا عوينه من كلام الطيبيني

الردي لو بان ما يذكر عماله

ما يعد اللاش مقصور اليميني

أركبه لعيون من زينٍ دلاله

ما تحاكوا في قفاه الرامسيني

الصبي وان طاب طيبه من خواله

بالخوال يسال قبل الوالديني

وقد سأله المذيع عن البيت الذي أعجبه حتى تمنى لو كان هذا البيت له هو؟ فقال: بيت سالم بن خرمان في مدح فيصل المرضف عندما قال:

بيت لهشال الخلا فيه تسنيع

واللي تقلبه الروابع هل له

وهذه قصيدة الشاعر عبدالرحمن بن سعدي الغيثي الشمري في الاستفزاع بقبائل يام للتدخل في أعتاق رقبته من القصاص وقد مدحها وأثنى عليها بالقدر الذي تستحقه هذه القبيلة العريقة، فسارت جموع يام وشيوخها من نجران إلى حائل كالجراد المنتشر إذ قال:

أقول الحمد لله ما علت في أرضنا أعلام

وعد رمالها وأعداد ما هلت سحايبها

سلامي عد ما حج الحجيج وكبروا باحرام

سلامي كل ما شدّت لبيت الله ركايبها

سلامي عد من زكى زكاته ثم صام وقام

سلامي من مشارق أرضنا حتى مغاربها

سلامي عد ما نكتب على وجه الورق بأقلام

سلامي ما لنخيل أهتز والنسمة تلاعبها

سلامي عد ما البلبل يغني بالغصون انغام

سلامي كلما عينٍ تمنت شوف غايبها

سلامي كلما مالت غصون وحركتها انسام

سلامي من حدود الجوف ومن حايل وحتى أبها

سلامي كلما اشتاق المحب لمن يحب وهام

سلامي عد ما التمّت بعد غيبه حبايبها

سلامي يأهل الطولات يا درع العرب يا يام

رجالٍ ما أحد يزحم على العليا مناكبها

رسوا مثل الجبال الراسيات أن زلت الأقدام

وكما البركان إذا نادى المنادي في كتايبها

إذا طير المنايا فوق هامات النشاما حام

أشوف سيوفهم تلمع كما تلمع كواكبها

وإذا ما قام سوق الموت يوم المعركة يا قام

أشوف نفوسهم يكثر بسوق الموت جالبها

يعشون السباع الجايعه روس الشيوخ اطعام

وطيور السما أسياف يام من مخالبها

لهم رأيٍ مصيب ما يحير ان حارت الأفهام

ولهم من طيبهم فزعات تذهل من يجربها

إذا لانوا فهم أبرد وألطف من نسيم الشام

وإذا اشتدوا فهم زلزال يزلزل من يغاضبها

سلمتوا يا سيوف الهند ومضربها يقص الهام

وسم الموت بحدود السيوف وفي مضاربها

يا ويل اللي نوى حرب الاسود وغرّته أوهام

انا أشهد ما اهتنى بالنوم مجنون يحاربها

الأفعى من يجيها إن بدت بانيابها الأسقام

ولهيب النار من يصبر على حامي لهايبها

أشوف الطفل فيهم يا نشا كالليث كالضرغام

وكما همدان إذا شبّ الشباب وشاب شايبها

هم الملجا هم الملفا لمن هو يشتكي الأيام

وهم المزبان يا ضاقت على الخايف جنايبها

كرام نفوس أهل ناموس عزّ اللي شكا وانضام

كما أمواج البحر يا يام إذا اشتدت مصايبها

كرام ومن كرام وضيفهم ما يعدم الاكرام

كان أموالهم ما هي لهم إن حل طالبها

هم أرحم بالخوي وأكرم من الوالد على الأيتام

وأنا أشهد من يجاور يام ما يشكي متاعبها

إذا كان السنة فيها ليالي تختلف وأيام

بني يام الليالي البيض وهو به من يكذبها

سهرتوا وانتهضتوا للمراجل والعفون نيام

وأظن اللي يبي الطولات ما يرخص مطالبها

دروب المرجله والطيب ما تأتيك بالأحلام

إذا ما خالط الأقوال أفعالٍ تصاحبها

لبعضهم من بعضهم دوم عصابة راسهم وحزام

ذيابة قاتلين للجبان إن جاء محاربها

انا شاعر على كيفي ببحور الشعر عوام

دواليب الفكر تاتي على كيفي أقلبها

انا أحفظ قصيدي عن هزيل القول والأوهام

وجزال المعاني للنشاما ما نحسّبها

انا من دار حاتم جيت وأظن الشعر ما ينلام

إذا ما قد تغنّى في هوى (نجران) كاتبها

الموسوعة الحرة في تاريخ وأدب قبائل آل مرة

جميل الشعر وأعذب شي شعرٍ صادق الإلهام

فلا تصدق بقولة أعذب الأبيات أكذبها

أجل عشنا وشفنا ومن يعيش يجرب الأيام

تسقيه الشقا والهم من قاسي تجاربها

أنا من نجد جيت وخاطري تلعب به الآلام

ونسيت الهم في بنت الجنوب ومن يقاربها

أنا من دار حايل (شمري) ولي ألفخر يا يام

إذا في مثلكم سطرت أبياتي وأرتبها

شمر والذيابه يام ركن وللفخر مرسام

فلا الأبيات والأمثال تحصي لك مناقبها

وهي قصيدة جزلة المعاني وصادقة الألفاظ ومؤثرة في المضمون وكان لها صدى واسع بين شيوخ ووجهاء القبيلة لما تحتويه من استنهاض للهمم والعزائم..

(٥)- الفراسة في معرفة الأثر . .

الفراسة عند العرب تعني أن يكون الإنسان شديد الانتباه وهي

من الفروسية، وهناك أشياء عديدة برزت فيها فراسة الإنسان العربي، ومن ذلك فراسة قبيلة آل مرة في معرفة الأصول أو الأثر سواء للبشر أو للإبل تعتبر شائعة في الجزيرة العربية ولا ينافسهم في ذلك أو يشكك فيه أحد إطلاقا. وتسمى: (القيافة) ويقال لمن يبرز فيها (قائف) وهي شائعة فيهم سواء في معرفة البشر أو الإبل أو مداخل ومخارج الصحارى المقفرة..

وفي كتاب (الكويت وجاراتها) ج١ ص٨٤ قال ديكسون:

"وتشتهر قبيلة آل مرة بقدرتهم على اقتفاء الأثر ولديهم العديد من القصص الخارقة بذلك. وتبلغ قدرتهم في الاستدلال إلى حد يستطيعون فيه معرفة ابن من هذا الشخص أو ذاك الجمل، دون أن يروه، ولكن بمجرد التطلع على أثار قدمه، ويدعون أن ذلك من الجن والأرواح التي تسكن باطن الأرض".. انتهى

وتم الاختلاف بين الناس وفيما بين القبيلة نفسها عن سر هذه الفراسة العجيبة على ثلاثة أقوال:

١- إن ذلك بسبب بيئتهم الرملية التي تجعل الشخص يركز على الأثر ويهتم فيه.

٢- إنها غريزة من الله سبحانه مثلما هي غريزة بني باهلة في

معرفة الخيل وتمييز الأصيل منها بمجرد النظر للشكل.

٣- إنه شاع بين الناس في رواياتهم العامة أن أمهم قديماً كانت من الجن، وأن هذا هو السبب.

والحقيقة أني أرجح اجتماع الأول والثاني بلا شك ولا تدخل في عقلي إمكانية حدوث القول الثالث، فهي غريزة فيهم وتم صقلها بسبب البيئة الرملية التي تعتمد كثيراً على الأثر وتمييزه والله أعلم.

مع أن هناك من مثقفي القبيلة من لا يستبعدها وبعضهم يؤكدها أيضاً، ولكني لا أجد نفسي مرتاحة في قبول ذلك، وقد ذكر لهذه الجنية عدة أسماء ومن بينها (طرفة) كقول فلاح بن راكان الحثلين:

لـو ان ابـن طـرفه مقـيم علـى الـدار

كـان الديـون المرمـسه جـاء قـضاها

وقيل اسمها (رشدة) ومما ذكره ذلك الشاعر محطاب الجميلي في قصيدته الشهيرة بوصف موتر الفرت موديل ٦٦م وقوته في التهريب حيث قال:

راكـب اللـي تاعبيـنن علـيه المتجَـر

هـاف حيث الهاف ما له مع العالم وجود

احمـرن سـته وسـتين لـوحاته سمـر

في ثلاثـين ألف بالضبط للبيع امحدود

واشـتراه اللـي يـبي قطـف نـوار الزهـر

دافعن كل الثمن كاش ما يطلب قصود

مـرنة وسـط الـبلد لـين وافـق للـسفر

مـا تغـالى فـيه دفـع الخـساير والنقود

دبـل الـسبرنق عـن لا يمـيل وينهـصر

والتوايـر جـددن طقـم برجستون سود

يـدهج الوفـره ومـنها مشى عقب الظهر

ناحر الكبريت ما له عن المركز صدود

جـاك مـثل مقـادع الذيب معطيهم نحر

حـاذفن نفـسه تحت عين حلال العقود

واطلـبوه اخـوان (رشـده) يقصون الأثر

خلـو الرشاش قفوه مثل قصف الرعود

(٦)- قضاة القبيلة (مقطع الحق) . .

في كل قبيلة من القبائل العربية يتعارف الناس على وجود قضاة وما يسميهم الناس عوارف أو مقاطع الحق لكون حكمهم نافذ لدى القبيلة بشكل قطعي غير قابل للتراجع أو الإنكار. بل إن فيهم من يتحاكم عنده أشخاص من غير قبيلته بسبب شهرته الواسعة ومعرفته التامة والتي تعتمد على الذكاء والاطلاع على عادات العرب وتقاليدها عبر القرون الماضية.

ومن أشهر العوارف والقضاة في الجزيرة العربية عقوب بن عفنان آل سويط من شيوخ قبيلة الظفير والذي أحضره أمير حائل محمد بن عبدالله الرشيد ليقضي في خلاف حدث بين عبدة وسنجارة وهما الفخذان الرئيسيان في قبيلة شمر.

وهناك القاضي (العارفة) الضريغط من قبيلة عنزه وكان شهيراً في وقته بهذا المجال الحساس. وقد اشتهر الشيخ (بن رميص) من البريد، والشيخ (بن هجاج) من آل جابر بهذه المهمة، وكانت متوارثة فيهم لفترات طويلة في قبيلة آل مرة، وأكبر دليل على مكانتهم كونهم يذكرون ضمن شيوخ القبيلة الكبار. وأشهرهم في مجال القضاء القبلي الشيخ فهيد بن هجاج والذي اشتهرت له عدة أحكام ذكية وصائبة، ولها دلالة قوية على رجاحة عقله وفطنته البديهية عبر رموز وإشارات خفية في الخصمين المتنازعين..

ويخطئ البعض عندما يعتقد إن هؤلاء يدخلون في مسمى (الطواغيت) التي تم ذكرها في القرآن والسنة، وهذا لا ينطبق عليهم، والسبب في ذلك أن الطاغوت هو من يقدم حكمه على حكم الله ورسوله وأما هؤلاء فليسوا كذلك، وإنما اضطروا للاجتهاد في فترة جهل الناس لأغلب الأحكام الشرعية وضياعها فكانوا يسيرون على الخطوط العريضة من أحكام الشريعة والمعروفة لديهم: كالديات والزواج والطلاق والعدة والمواريث وغيرها.

وكانوا يجتهدون اجتهاداتٍ رائعة وذكية في القضايا التي تخفى عليهم فيها الأحكام الشرعية فكانت أحكامهم تتركز على القرب من العدل قدر الإمكان، وهذا هو الأساس في أحكام الشريعة الإسلامية لكونها أتت لتحصيل المنافع ودفع المضار والوصول إلى العدل قدر الاستطاعة، والابتعاد عن الظلم الذي حرمه الله على نفسه وجعله محرماً بين الناس.

نعم قد تحدث تجاوزات في حالات نادرة قد تصدر من بعضهم، ولكنه أمر يخص فاعله فقط ولا يعمم على الجميع مثلما يحدث الآن أحياناً من بعض القضاة في أحكامهم التي قد يدفع عليها شيء من الهوى، ولكننا لا نعمم الحكم هذا على جميع العوارف مثلما أننا لا نعممه على قضاة اليوم بسبب حالة فردية نادرة. والحقيقة أنني سمعت الكثير من الروايات عن بعض أحكامهم

فوجدتها لا تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية مطلقاً بل العكس كانت تطبق روح الشريعة وهدفها الأول والأخير ألا وهو تحقيق العدالة والابتعاد عن الظلم.

وقد أنجبت عائلة آل هجاج العديد من الفرسان أيضاً وأشهرهم الفارس مرسل بن هجاج الملقب (مريسيل الخيل) ولم تكن مهمتها مقتصرة على القضاء القبلي..

(٧)- مكانة الإبل لدى آل مرة :

من المعروف بين القبائل العربية مكانة الإبل بصفة عامة وعند آل مرة بصفة خاصة.

وسبق وأن ذكرنا قول مؤلف لمع الشهاب في تاريخه ص ٦٥ عن قبائل يام:

"والطائفة الأخرى من يام يقال لهم (آل مرة) تارة يسكنون اليمن وأخرى نجداً بحسب ما يصلح لمواشيهم، وهم - أهل إبل فقط - وشجعان ولذلك لا ينازلهم أحد ولا يخالفهم وإن كانوا قلة، وأحيانا ينزلون الأحقاف من مشارق اليمن مما يلي عمان، ويبلغ عددهم ألفان رجل وقوتهم من لبن الإبل فقط".. (انتهى كلامه)

تخصيص المؤلف لقبيلة آل مرة من بين القبائل بقوله (أهل إبل)

لم يأتِ من فراغ بل بناء على دراية قوية بقبيلة آل مرة والتي لم أرَ بين جميع قبائل الجزيرة العربية والعراق والشام من يحب ويرتبط بالإبل بمثل ارتباط قبيلة آل مرة.

ولقد سمعت ورأيت بعيني من ذلك الشيء الكثير الذي يفوق الوصف لدرجة أن الشخص منهم لو مرضت له ناقة أو جمل فلن يستطيع النوم طيلة مدة مرضها، وتجده يذهب بها إلى كل طبيب يذكر لعلاجها، ليس بخلاً ولا شحاً لكونهم هم أكثر من يذبح الإبل لإكرام ضيوفه وإنما حباً عميقاً وارتباطاً وثيقاً متوارثاً منذ مئات السنين.

ولذلك تجد الشاعر المري إذا أراد الطرب يقول قصيدته في أحب إبله عنده ولذلك من النادر أن تسمع قصيدة لأحد شعراء آل مرة دون أن يذكر فيها الإبل ويفتخر بحيازة النجائب السود منها. وأشهر شعراء قبيلة آل مرة الذين نظموا نوادر أشعارهم في إبله هو الفارس العقيد سعيد بن مقارح، من آل قرح من البحيح الذي قال أروع أشعاره فيها ولا سيما ناقتين شهيرتين هما (عنقة - نيلة) وفيها من الحكمة والمعاني الشعرية الشئ الكثير، واعتبرها من جواهر أشعار قبيلة آل مرة وهي:

قلبي على نيله تشقوى بمسراح
متشقوي مع كل ملحى زهوقي

كن صوت نيله بيضة محها طاح
تلعب بها نود الهبايب طروقي

يا زينها لا جات من عقب طياح
قد هي أدغلف ذا وذا بالنشوقي

كن ديدها من بين الأثفان مصباح
وحليبها احلى ما يدب الحلوقي

والاذنين شرف من على القحز طفاح
ومهادلها كنها حذايا الطروقي

لها على الفرغ المصالي تمياح
ينثر عليها من وسيع الشدوقي

يا من بها الجذاب من صوب مياح
بقوايم فوق الربايع وثوقي

وجنوبها من كادر الجم طفاح
شرابه ما هي بغما ندوقي

يازينها تبرا لدواه مصلاح

إلى أفرقت بين الشعب والفروقي

تبراً لها مبرية الساق شلواح

قبا قحوص للطرايد لحوقي

لا شيف شوف من ورى الجو منزاح

لا هي على حبل السبيلي نتوقي

كن طمرها لا طنب النشر بصياح

طمر الوعل في صفح صفيا صلوقي

وكن نبشها سبع تنوى بمرواح

قد هو على حد الرعايا يتوقي

تشدي كما ذيب تقاعم بمرواح

قد هو على حد الرعايا يتوقي

أبرها ما ني عليها بشحاح

والدر مشنوط لها بالعلوقي

ابغي إلى من جا نهار التصياح

وتشابروا في جو جردا ملوقي

اردها عزز على روس الأرماح

بمسلهب من ناحلات العروقي

فالي انزعج منه أحمر الدم فياح

من حربة كنها لسان السلوقي

معاد هي عقب التويجاه بصحاح

متقابلات كن جهمها حروقي

إلى اجتمع سر وبر وصلاح

وحظ من الله يوم جات الوفوقي

عينت فعل الرجل يكفيك الامداح

يمضي إلى ضاعت وساع الحلوقي

والمرجله ما هي تغلق بمفتاح

والنذل ما له في المراجل حقوقي

وهذه القصيدة من أروع القصائد التي سمعت لشعراء آل مرة لقوتها في التصوير وبلاغة الصور وقوة المعاني، وإليك هذه الصور العديدة مثل:

بيضة طاح محها، وطمر الوعل، ونبث السبع أو الذئب، والحربة ولسان السلوقي، ووسيع الشدوقي.. وغيرها من الصور الشعرية الفريدة والرائعة..

وكانت (الشايقة) من أحب الإبل لدى صاحبها وهو الشاعر الشهير جهويل النابتي من البحيح من آل مرة وفيها طبع عجيب جداً وهو أنها إذا ضربها أحد من أولاده نزحت عن البيت بعيداً كالزعلانة وبمجرد وصول جهويل إلى البيت تأتي مسرعة إليه وتقف عنده وكأنها تشتكي له ما حدث وبمجرد رؤيته لها بعيدة عن الإبل وقدومها إليه بسرعة يعلم أنها تعرضت للضرب فيقوم بمعاقبة من فعل ذلك واسترضائها بشيء من الأكل.

وذات مرة أحضرها جهويل للمشاركة في ميدان سباق الإبل في الإمارات العربية المتحدة بحضور الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، ذلك الزعيم العربي الأصيل الذي يعتبر الرمز الحقيقي الفطري للتواضع والحكمة والكرم.

كانت الشايقة لا تتضح سرعتها إلا في المسافات الطويلة

لأصالتها ولكنهم ودون علم جهويل أدخلوها في سباق الصباح القصير البالغ خمسة كيلومترات فجاءت الثانية في الترتيب. ومع كونه مركزاً ممتازاً إلا أنه غضب من ذلك وأمر بدخولها في سباق العصر بنفس اليوم بمسافة العشرة كيلومترات، ومع كون ذلك يعتبر مشقة عليها وإجهاد كبير لكنه أصر على ذلك لمعرفته بها. وفعلاً جاءت الأولى في السباق وسط ذهول الجميع، فقال جهويل:

(الشايقة) بدة العيرات مشكوره
اللي خذت حقها الوافي بشوطيني

من قال لي بع ذلولك عاصي شوره
خمسة ملايين فيها ما تكفيني

ما ني ببايع وقلبي ما نوى البوره
والرزق موجود دام الله محييني

أبي الياجاء نهار الريس في دوره
يذاع باسمي مع الربع المسميني

لاحضروهن ونادوا كل مشهوره
راحن جميع وجن وحده وثنتيني

قدام زايد اليا من صف طابوره

تأتي ذلولي مع ركاب السلاطيني

إما تجي الأوله والا فمخطوره

تنافس اللي خذى الاول وترضيني

يا بكرتي من عيون الناس ماجوره

اللي يفكك من عيون الشياطيني

كنها هنوف تماري كل غندوره

في وجبة العيد لبست ثوبها الزيني

والها دعايه مع الاجواد منشوره

بالاصل والطيب بالاول وذا الحيني

يا مسنعين أصلها ما هي بمبثوره

ولا هي بمشروكة بين البعاريني

بنت الذي بالنجايب مالها جوره

غب الصلف ما تجود كود بأثنيني

وهذه القصة من أطرف القصص التي سمعت عن الإبل وإنجازاتها، وهي من الأمور العجيبة، وتمثل سر محبة جهويل لها ورفضه لبيعها رغم أنها تسام بمبلغ خمسة ملايين، وهو مبلغ كبير مقارنة بحالة جهويل النابتي التي لم تكن فاحشة الثراء، بل كان أحياناً يقترض قيمة الأعلاف والشعير لإبله، ولكن المحبة سحر فعلاً.

ومن الطرائف الشعرية أنه ذات يوم جلس جهويل النابتي بجانب الأمير عبدالعزيز بن سعد بن جلوي ووالدته من قبيلة آل مرة فهم أخواله وقد اشتهر الأمير عبدالعزيز بحبه للبادية وأخلاقها وتاريخها وأشعارها حتى أصبح مرجعاً تاريخياً في ذلك وهي دليل على مكارم أخلاق الرجل ونبله. ويعرف جيداً مكانة (الشايقة) عند جهويل، فقال ابن جلوي: عندي بيت من الشعر وأرغب منك إكماله يا جهويل، قال: ابشر، فقال الأمير:

والله إنه ما يشوقن اليا حان السباق

كود خاطي بكرة مثل جري الشايقه

وعلى الفور ارتجل جهويل النابتي الأبيات الشعرية لإكمال هذا البيت بعدة أبيات لا تقل عنه روعة فقال فيها:

هاضني ما هاض عبدالعزيز إذا استشاق

مثل ما اشتاق المولع على عشايقه

واللّه إنه ما يونس إذا جاك الحماق

كود خاطي عيرة بالأصايل فايقه

ما تلوح بالرسن قبل خط الإنطلاق

والموفق فوقها عارفن طرايقه

لا تمزع سبق الجيش من عقب الضياق

روحت تشدى لفرخ رموا علايقه

أو كما خطوات ريم خفيف واصطفاق

عقب ما صاد المبندق حدى رفايقه

مطلبك يا بن الأكارم صعيب ما يطاق

بس مثلك لا بغاها لنفسه طايقه

في حين أن قصائد الفارس ناصر آل شابل آل زبدان كانت في ناقته (ضحية)..

وعشيرة آل زبدان: بالرغم من كون زبدان هو الأخ الثالث لكل من غفران الذي أنجب عشيرة آل غفران والتي تعتبر ثلث تعداد القبيلة، وسعيد الذي أنجب آل بشر وآل جابر وهم يشكلون النصف تقريباً في تعداد القبيلة إلا أن سلالة آل زبدان لم تتكاثر بنفس النسبة التي تكاثر بها الفرعان الآخران من سلالة شبيب. وفيهم عدة شيوخ وأشهرهم شيوخ عائلة آل حذقين التي تعتبر مرجعاً من مراجع آل زبدان، كما اشتهر فيهم عدة فرسان برزوا في وقتهم ولكن للأسف كانت الأشعار التي تخصهم ضمن الأشعار التي ضاعت للقبيلة ولذلك لا نستطيع إيراد شيء من تلك الروايات والقصص التاريخية سيراً على المبدأ الذي اعتمدناه من البداية وهو عدم اعتماد شيء ليس له شاهد تاريخي سواء أشعاراً أو نصوصاً تاريخية موثقة.

ومن الفرسان الذين وجدنا لهم أشعاراً تثبت رواياتهم الفارس ناصر آل شابل وهو الفارس ناصر بن محمد بن صالح بن عبدالله آل شابل من فخيذة آل زبدان من شبيب من قبيلة بني مرة من يام، كان من الرجال المعروفين بالحكمة والشجاعة والكرم وكان يهتم بالإبل الأصايل ويمتلك مربطاً من الأصايل، وكانت من أشهر الأصايل من إبله وأحبها إليه ناقته المشهورة ضحية التي غزى على ظهرها عدة غزوات، ومن أشهرها غزوته مع العقيد الفهيدي الشهير حمد البطين، وكان في بداية الشباب من عمره، وبعد الرجوع بالكسب

كانت صبة الفنجال الأول له بالرغم من صغر سنه، وهذا دلالة على فعله المشهور في تلك الغزوة، وكون الفارس العقيد حمد البطين يوافق على انضمامه معه في الغزو فهو دليل على الثقة الكبيرة بشجاعته وقوة احتماله للشدائد، لا سيما وأن البطين اشتهر بالمغازي البعيدة التي تصل إلى أواسط نجد أحياناً، ولا يسمح البطين لكل رجل يريد مرافقته ما لم يكن متصفاً بصفات مهمة تؤهله للمشاركة معه، وقد أنشد في ناقتة ضحية قصيدة وذكر اسم الناقة في القصيدة وهي:

يا جعلني ما تبدل فيش يا ضحية

إلي عليها ضربنا الفنتق الخالي

إلي ردفنا عليها من عقب هيه

عقيد قوم على العدوان عيالي

في ساعة هون الحبان من غيه

رديتها بأشهب البارود للتالي

ومن عقبها صبة الفجال جبريه

صبو لي البن الأشقر غب لفعالي

وأيضاً ذكر عنه أنه كان يعطي نجائب الإبل لمن يريد الحج إلى بيت الله طمعاً في الأجر والثواب، وذات مرة أعطى ناقة من إبله المشهورة في التحمل وطيب الأصل إلى رجل يريد الذهاب لأداء فريضة الحج عليها حيث أن ذلك الوقت يختارون الإبل الأصيلة المعروفة لطول مسافة الطريق وصعوبته، وقد أنشد الرجل قصيدة تقدير وشكر لأن هذا موقف صعب ونادر في ذلك الزمن ولكن الفارس ناصر يعتبر من أهل المواقف الطيبة والرجال المشهود لهم بالمكانة الكبيرة في عصره وليس مستغرب منه ذلك وأكثر:

يا عوني إلي عطى وجناه وأصخاها

حتى قضينا عليها حج بيت الله

الفاطر الي كما العفري حلاياها

تقفي بحبل الرسن وازريت لاتله

هذان فقط بيتان من القصيدة التي حصلنا عليها مع العلم أنها أطول من بيتين..

وهذا الشاعر الشهير علي المرعي من آل غفران عندما قال له إخوانه من باب الاختبار إنهم باعوا نياقهم وسوف يأتي المشتري غداً فكان جوابه:

يا علي بشر عساهم ضيعوكم

واستخارو يا عسا في الأمر خيره

وإن خذو نوقاتكم فهم أغلبوكم

وإن غدو بالصايمه هي والقصيره

فيه ناسٍ بايعتها وسبقوكم

في الحضارة وأنشدو ويش السريره

إن كلتكم نوقكم وإلا كلوكم

راعي الدكان والبارد وغيره

احفظو نوقاتكم لأرحم أبوكم

السنين أدوار والدنيا خطيره

قصيده لا تخلوا من الطرافة فعلاً وإن كان قالها جاداً في كلامه.
وهو القائل في الإبل ومكانتها ومحبتها هذه القصيدة:

يا مرحبا باللي لفت عدت السير

عد الحصى وعداد نبت الذواري

شملول ذود فيه فطر واباكير

تلاد ما جت بين بايع وشاري

قلبي يود لسودها والمغاتير

ويا حبني للصفر والرب داري

صفرن مواليفن كبار المواخير

ما الله عليه في غلاها بزاري

شفي مباراها ليال المخاضير

والنبت عاده فاالوعر والمذاري

وإلى كسا الريضان زين النواوير

ومن مقدم الطياح طارت حباري

أجي على ما بان واطلع الطير

مجربن قدهو على الصيد ضاري

إلى طلع وأطلقت له قضبه السير

شهّر وحول صوبها بانحداري

تواقعت من عقب ما هي مدابير

اللي لبد واللي قعد له يشاري

يضرب ثناديها بمثل الشناكير

لا هو يصد ولا عليها يداري

صيده حبارى عند وجه المعاشير

أخير من بيت بنوه الوقاري

لا هم بحكام تقود الطوابير

ولا لهم فالبنك سجلن تجاري

أمحق عقولن ما هدتهم على الخير

يقلدون سلوم حمر العتاري

ولا يقل عنهما الشاعر حمد بن سالم بن فطور في دقة التصوير العجيب للإبل من خلال قصيدته الرائعة جداً، والتي جمعت دقة التصوير ولذة البحر وجمال القافية والتي قال فيها:

يا مرحبا بلي ملت عين دربيلي

زعوج معاً الأول ولا هي بخدارة

الموسوعة الحرة في تاريخ وأدب قبائل آل مرة

وكن أذنها كافور غرس المحاحيلي

عليه المكاين دايم الدوم هدارة

وكن ذيلها سدو بروس المجاديلي

نسيج النجيب اللي من الصوف مختارة

ونسهج بها المرباع قبل الرجاجيلي

إلى عاد ولد اللاش متروم داره

إلاغاب جاري ما تجي بيته ارجيلي

ومرفوقة رجلي من زيارة الجارة

ومع الرفاقة لابلوس ولا حيلي

ولا حن إلا جينا المجالس بهذارة

أنا عقب فرقاهم دموعي هواشيلي

هكوف كما يمرع من الوفر مطارة

وقفت ضعون دقيق العنق يا ويلي

وعمري على مسكة على ثرهم الطارة

وهناك قصيدة ناصر بن علي العمرة الغفراني المري في منتصف الثمانينات ميلادي عندما شعر أن الجيل التالي تراخوا عنها وخاصة الشباب وبعضهم باعها بسهولة فقال الأبيات التالية:

عرب الحنازيب تنخى كل ديقاني

تشكي عليهم من الحقران والسيبه

حطو لها وايتٍ وشراع سوداني

ويا حيف صبيٍ نياقه عندها شيبه

تكفون جازو هل المعروف بإحساني

معروفها سابقٍ ما ينجحد طيبه

البل كما الطيب اللي جاله اعلاني

لا كبر سنه ربوعه قدّرو شيبه

تكفون يا لابتي ذربين الإيماني

البل هي العز وهي الكار والهيبه

ما دام عند الربوع قطاع ذيداني

فالاسم تحييه وتودّيه وتجيبه

البل عطايا الولي زينات الألواني

من ضمها ضمته والناس تدريبه

تبعده من ديرة الخبلان والشاني

ومن عز نفسه غداله فالعرب هيبه

ومن كثر ماله يشوف الناس خلاني

ومن قل ماله سمع منهو ذكر عيبه

يوم المغازي ومدح فلان وفلاني

هذاك يعرف ردا الرجال من طيبه

واليوم بظلال ربي عالي الشاني

اشوف طيب وردى الرجال من جيبه

وهذه وصية من وصايا العقيد علي بن فاضل الشهير، وهي تدور في نفس المجال والمحيط الذي هو محبة الإبل وإكرامها ومعرفة مكانتها العالية إذ قال:

سعيد أنا بأوصيك مني وصيه

هرجة كبير القوم تنفع صغيرها

لا قيل هذا راعي دارٍ ودمنه

ذي ديرةٍ صعب علينا مسيرها

شد الشداد فوق منبوزة القراء

إلى ديرةٍ سابق حياها بشيرها

فرد سعيد على أخيه علي:

علي يوصيني وماني بجاهل

ولا جاهل باللابة إلا عشيرها

يوصيني بعز البل وماني بجاهل

وكسبت من بعض المعاني كثيرها

يوصي وأنا شفي من الذود بكره

كما طموحِ الريم ترجي عشيرها

فجحى من المدور إلى حد خفها

كنها كسور ما تلاسى جبيرها

شفي مباراها مع الفاو مجنب

لا طار من جل العشاير غثيرها

خشيرةٍ للربّد والريم والمها

خشيرة الادمي والادمي خشيرها

ياسم بها حل الصفاري مهدد

أبي دقها وأخي نوايد عشيرها

لاكنها لا سمعت الصوت أو أقبلت

دولة سلاطين دعاها مشيرها

وكانت ولا زالت قبيلة آل مرة ترفض بيع حليب الإبل ويرون أنه يقدم كضيافة لمن يمر على ذود الإبل أو ضيفاً في منازلهم، ويعتبرون البيع لا يتوافق مع كرم الضيافة. ولا يعيبون من يفعل لك من غيرهم ولكن الشخص المري نفسه لا يمكن أن يبيع حليب إبله مهما كانت حاجته، ومن المعلوم أن بيع الحليب ليس محرماً بشرع الله لما جاء في الأثر (ما حل أكله حل بيعه)، ولذلك لا يحرمون ذلك ولكنهم يرون ذلك نقصاً في كرم الضيافة العربية، وهي دلالة على كرم خصالهم وسجاياهم العالية.

وبالرغم من كون بيعه قد انتشر في أكثر القبائل في الجزيرة العربية إلا أن قبيلة آل مرة وإلى الآن يرون ذلك عيباً كبيراً ينقص من مهابة الرجل وقيمته. والذي أراه أن الرجل إذا أتاك ضيفاً في بيتك أو

زارك عند ذودك فلا شك أن بيع الحليب عليه منقصة في الخلق والشهامة وحقوق الضيافة العربية.

ولأما من نقل الحليب إلى السوق لبيعه هناك فلا أرى عيباً في ذلك لجوازه شرعاً والله أعلم. ولكن قبيلة آل مرة ابتعدت عن ذلك زيادة في الكرم وحسن الضيافة.

(٨)- لقب خاص لقبيلة آل مرة :

اشتهرت قبيلة آل مرة بين قبائل الجزيرة العربية بلقب (بعاد المغازي وصيادة الجوازي).

وهذه الألقاب جاءت في قصة سعدون بن عريعر وضيفه، وقد اختلف الناس في هذه القصة، فهناك من يبطلها بالكلية ويرى أنها خرافة ورواية عوام لا أساس لها، وهناك من اختلف في تحديد هوية ضيف ابن عريعر فقد قيل الخلاوي وقيل الشلاوي وقيل الزعبي وغيرهم من الروايات المتعددة. والذي أجزم به أنها قصة صحيحة الأصل بين سعدون بن دجين بن عريعر من عام ١١٨٩هـ إلى ١٢٠٠هـ وضيفه.

وأما القول إنه الخلاوي فهو غلط لكون الخلاوي قبل إمارة العريعر بوقت لا يقل عن قرنين من الزمن. (بعاد المغازي): لكونهم يحتاجون لقطع مسافة ٧٠٠ كم وهي مساحة ديارهم قبل الوصول لخصومهم. قال الشاعر:

راع الردى بآلك تراجي طروشه

وانته بجيرة مبعدين المغازي

(صيادة الجوازي) وهي الظباء لكونها تجزي عن الماء أي تستغني عنه ولا تشربه وتكتفي بالرطوبة الموجودة في الأعشاب فقط.

قال ابن لعبون:

يعط ابها البختري والخزاما

وترتع فيه طفلات الجوازي

أو أنها سميت الجوازي لكونها تجزي وتبتعد عن الناس وتخاف منهم، مثل قول الرجل: جزت عيني عن النوم أي نفر النوم عنها وابتعد، وقد قال عبيد العلي:

القلب من كثر الهواجس جزان

ما يستريح من الغثى ربع ساعة

واشتهروا بصيد الظباء لكونها كثيرة في صحاري الربع الخالي الشاسعة التي يتواجدون بها.

وهنا في الكلام عن شهرة قبيلة آل مرة في صيد الظباء علماً أن الصيد من الهوايات المحببة لقبيلة آل مرة وأحياناً ليس هواية بقدر ما

هو ضرورة للعيش من لحوم الصيد التي كانت تجول صحراء الربع الخالي بشكل هائل وأعداد كثيرة قبل أن تنقرض شيئاً فشيئاً بسبب البنادق والسيارات التي تصل إليها أينما كانت.

وهذا الشاعر مبارك بن جعمل من آل جعمل من آل دوسة من آل جفيش فارس وشاعر وقد توفي قريبه هادي وكان طيره عند أحد الجماعة والذين أحضروا الطير لمبارك بن جعمل لكونه أقرب الناس للمتوفى فلما رأى الطير قال:

مـا عـاد لي بـالطير مـن عقـب راعـيه
لـو كـان صـيـده مـن كـبار الـثـنادي

ومـا ألـوم حـال اللـي شكى حزن غاليه
مـن عقـب مـا جـربت أنا حزن هادي

صـبي ينجـي الجـيـش إلى حـان تاليه
إلى ثـار قـبـس اللي فـشـقها جدادي

وراعـي الـرديـه كـل ما حـان ينجـيه
لا حـل سـوق الـمـوت بـين العوادي

نـجـره لـمـنـهو يطلب الكيف يدعيه
يصخـي لـهـم بالـبـن هو والـقـنادي

الفصل الثاني

مواقف وأشعار من قبائل آل مرة

هناك العديد من المواقف التي ذكرت والأحداث التي رويت لأبناء قبائل آل مرة وغيرهم من أبناء القبائل المجاورة لهم، هذه المواقف تناولتها الأشعار التي سجلها الرواة، والتي سوف نذكر منها عدداً من الأمثلة لإبراز تلك المواقف في حياة آل مرة:

(أ)- قصيدة الفارس سعيد بن مرصع من العوير الذي أضاع عشراً من الإبل، وبعد فترة ذكرت له فسار إلى حيث مكان الذكر فوجد الإبل العشر، وإذا بالحاشي قد أصبح بعيراً وإذا به قد أضرب اثنتين منها والأخرى تشير بذيولها، فأخذ الفارس سعيد بن مرصع إبله التي كانت معه وجعلها تدخل وسطها فلما دخلت وسطها عرفتها وألفتها فأنشد قائلاً:

يـا مـرحبا يـا للي لش القلـب مرهـاش

إرهــاش طـير فــي ليالــي هـــداده

قـلـــبي تولـع فـيـش من بـد الأدبـاش

مـثل الـغــريــر الـسي تولــع بــزاده

ما ازين هدب ذيلش إلى من تغشاش

كنه جريف مجرف من عماده

العبد ابيعه لاجل عيناش ورضاش

بابيع فيش العبد ترثة سعاده

وهناك من يخطئ ويقول إنها لابن مقارح وذلك بسبب الالتباس بينها وبين قصيدة سعيد بن عليان بن مقارح من كبار ومشاهير آل حسناء من البحيح في إبله، وخاصة عنقة ونيلة عندما قال:

متشاركات الزين عنقه ونيله

مثل العساكر لابسين الطرابيش

إن شفت هذي ثم هذي مثيله

أشباب غرس لا عياد ولا حيش

وهذه القصيدة فيها كلمات كثيرة تعتبر مرية قحة وبدوية أصيلة قد لا يفهمها أكثر الشباب بسهولة ولكونها على قافية الشين فقد تشابه الأمر على البعض فنسب قصيدة ابن مرصع لابن مقارح مع أن الاختلاف واضح بين القصيدتين وليس هناك تشابه. فمثلاً لو كانتا مثل قصيدة دلول بن طراح الجميلي في قوله:

يا ليتني ما جيت للجو ماشي

ولا شفت ملهوف الحشا لابس الشاش

حلو الذهب في منحره بارتهاشي

لاكن ينطحني مع الدرب هواش

يا رميح ما مرك مع الورد حاشي

وقم الرباع اليوم بخدوده رقاش

وقصيدة رميح الخمشي (وتنسب للشاعر ساكر الخمشي) في رده على طراح الجميلي على نفس البحر والقافية ومنها قوله:

يا لله يا للي تودع المزن ناشي

تفرج لحال نش ما بقي فيهاش

مسكين بياع الموده بلاشي

يزعل على ما لون ويرضى على ماش

باعن ولابعته بكثر المماشي

باعن برخص وبيعتي بيعة بلاش

وقصيدة سرور (أو ابن سرور) من قبيلة حرب الذي جاراهما في قصيدة رائعة ومنها:

يا راكب اللي مشيهن باهتواشي

ودلٍ عليهن ناقشه خوش نقاش

عسى مباكير السحاب النواشي

ترسل همايلها على دار عماش

للي على الرمشين طابور باشي

وبعيونها عسكر مدافع ورشاش

فهذه القصائد متشابهة تماماً في البحر والقافية وقد تتداخل فيما بينها وأما قصائد ابن مرصع وابن مقارح فهي تختلف كثيراً والتشابه بينهما ليس تاماً.

(ب)- إن التشابه بالاسم يسبب الاختلاف والوقوع في الغلط كالاشتباه في القافية بالضبط وأكبر شاهد على ذلك اختلاف الناس بين شاعرين من قبيلة آل مرة وهما:

١- سالم الحايف من البحيح.

٢- الحوف بن معيان من الغفران.

فلو نظرنا إلى تشابه (الحايف والحوف) نجد أن التشابه والتقارب موجود بينهما، ويجعل الذي يرى اسم الحوف يعتقد أنه خطأ في النطق أو في الإملاء ويظن أن المقصود هو الحايف وكذلك العكس ولهذا نسبت قصيدة الحايف الشهيرة ومطلعها:

راكب اللي تنهض الكور وتشله

دارب ما فوقها كون هولاني

نسبت للشاعر الحوف بن معيان لتقارب اسمه من اسم شاعرها الحايف. علماً أن الحوف بن معيان الغفراني له قصيدة في نفس المناسبة التي قال الحايف فيها قصيدته وهي غيرها ولكنها لم تشتهر بين الناس لكون فخذ الشاعر الحوف اعتمدوا على أنها نفس قصيدة الحايف وأنها نسبت للحايف عن طريق الخطأ وهذا غير صحيح. وقصيدة الحوف بن معيان مطلعها:

يا نديبي فوق زاهية الاواني

ضمر من جيش زايد مطعمات

تيهوها في الحيى تسعين ليله

ما تصوع بالنبات مغفلات

فقصيدته تختلف عن قصيدة الحايف. وليس بحاجة لها فأشعاره الكثيرة والرائعة تكفيه عما سواه، ولكن الاختلاف والوقوع في الخطأ وارد على الناس جميعاً، وأولهم كاتب هذه السطور. علماً أن للشاعر الحوف بن معيان عدة قصائد رائعة غير مشتهرة مثل:

يـا الله الـيوم يـا زبـن الـضعيف

يـا كـريم تحقـق مطلـبي

تـرحم الله هجـر دار الولـيف

كـل صـبي يـشل المغـربي

يـوم بانـوا لـنا مـثل القنـيف

عيـنوا ضـربنا بـالملعبي

كـن هواشـيل دمهـم وبـل صـيف

يـابس القـاع تحـته يـشربي

مـا يفـك الحفـيف مـن الحفـيف

كـود درج حـداه اللـولبي

وبسبب عدم شهرته ضاع العديد من قصائده ومن ضمنها قصيدته السامرية الرائعة والتي يقال عنها فلكلور شعبي قديم، لعدم

معرفة صاحبها، وأحياناً تنسب لغيره، وهي السامرية التي تقول:

كـريم يـا بـارق سـرى

مـا أحـلا رزيـز الـرعد فـيه

يـا زيـن عـشبه الـيا خـضرا

والـبل ترعـى مفالـيه

والـبل يـا زيـنة الـذرا

كـم مـن غـريب تـوديـه

بطـنه نحـيلٍ معـفـرا

يـا زيـن طـي الحقـب فـيـه

نطـيت انـا الحـيد الاسمـرا

وهيـضت انـا عـبرتي فـيه

عيـنت ظـبي تحـدرا

يرعـى الزهـر مـع مثانـيه

جيـته مـع اللـيل مـا درا

والـيا القمـر شـارع فـيـه

الـــيا لمـــسته تهـــصـــرا

والـــبوق مـــا نـــي بـــناويه

وهي سامرية شهيرة ومعدودة ضمن السامريات العشر الشهيرة في الجزيرة العربية، وربما تجد فيها كلمات غير مرية وهذا طبيعي لكونها داجت القبائل والأمصار ولحقها بعض التعديل في الكلمات حسب لهجة كل قبيلة وحسب قوة الحفظ وضعفه، فربما لا يحفظها الشخص جيداً ولذلك يضع كلمة من عنده لكي يعدل الخلل فتكون هذه الكلمة التي أضافها غير مرية، وهذا حاصل في كل القصائد التي تنتشر مع الذاهب والقادم في كل جهة من الجزيرة العربية. مثلها في السامريات المنتشرة قصيدة ماجد بن حمود العبيد الرشيد الشهيرة في زوجته من بني خالد عندما غضبت معه ورحلت إلى أهلها في نواحي الإحساء فقال:

يــا الله أنــا يــا والي الأمـــر

يــا مــسندي وأنــت اللطــيـــف

انــك تعــاوني علــى الــصبــر

وزريــع قلــبي لا يهــيـــف

ونــيت ونــه زلــزلت مــصــر

وقــصور مكــه والــشريف

عــيت ذلــولي تقطــع الجــسر

وصــويحبي يم القطــيــف

ســواني يــسنن علــى الجــسر

ســواقهم عقلــه خفــيف

مــتى نــشد ركابيــنا العــصــر

عــن هالمكــان اللــي يخــيف

لي صــاحب خــواتمه عــشر

يــرجس كمــا مهــره عــسيف

(ج)- ومن الأشعار الفريدة حقاً أشعار الفارس الشهير عبيد بن حران من آل فهيدة والتي يمتدح فيها شجاعة فرسان النابت من قبيلة آل مرة الذين اشتهروا بكونهم لم تؤخذ لهم ناقة من الخصوم، وقد قال فيهم:

راكــبن مــن عــندنا فــوق الهمــامي

لا يــبات اللــيل ويــسام الظهــيره

نصه ابن سعود وشيوخ النظامي
من قديمن ما تواطينا لغيره

النوابت حقهم سير السنامي
ما حدن منهم ذخر عمره تجيره

سعد منه حاضرن والقبس حامي
يوم شبت بينهم شوبا سعيره

قلت انا يا ناس ما مثلي يلامي
باتمنى والمنى ما فيه خيره

وهي على بحر الأبيات الشهيرة التي تنسب للملك عبدالعزيز وتنسب لغيره من الشعراء ومطلعها:

وردوهن هيت واخطاه الدليله
والموارد غير هيت مقضباتي

والنابت لو لم يقال فيهم سوى أبيات الشاعر المفقاعي الهاجري بعد معركة الزبارة الشهيرة لكفتهم وهي التي قيل فيها:

يا مخيل تهمر هل بأمر الله
جاء شمال من الريان مسياره

هل وبله لعينا الشيخ عبدالله
حاكم ما عدوه ينزل إدياره

بان فعل النوابت بين خلق الله
ضربهم راكد ما هم بفشاره

وفاز بالمدح والناموس جارالله
بين لما القبايل شاعت أذكاره

ساق قوجه عليهم وأستعن بالله
لين حط العلوه بينهم شاره

ومن روائع عبيد بن حران الشعرية أبياته بعد سفر طويل قضاه في جنوب غرب الجزيرة العربية، وخلال شعوره بالتعب والإرهاق من طول السفر ومشقة الطريق والغربة عن الأهل حيث قال:

سفاين اجلاب البر ما هيب سباحه
ويا بعد راعي محمل غاص بالعالي

وترى الهجن ستر لنشامى وفضاحه
ولا كل من ركب النضاء جاب الجهالي

وكم واحداً لا ركبها قلت امداحه
وكم واحداً لا ركبها يطرب البالي

شجاع الى قرب من القوم فساحه

صبور على ماجاء ولاهوب عذالي

ولا واهنيك يا ريش العين بالراحه

وانا في سموم القيض والترف بضلالي

ولا خذ ويسيق قد شفاياه كلاحه

ولا هوب يطري عوجه الروح لتالي

ولا دوجت به بكرته من وراء الباحه

ولا وردت به مشرب من هله خالي

وقوله في البيت الأول من هذه القصيدة شبيه جداً بقول بن قويد من شيوخ الدواسر:

الهجن ما تستوي للبايع الشاري

يا كود منهو ينوش العلم ويجيبه

سرنا عليها سمين وانكفت عاري

في لازم الحاكم اللي جت مناديبه

وهذه قصيدة أخرى من قصائده الرائعة والتي يمتدح فيها قبيلته ويذكر شجاعة فرسانها ويثني عليها، وهم قبيلة آل مرة:

هجننا بين العداء سوت هذره

بين دار الغافري هو الهناوي

ويا ناشد منا ترى حن آل مره

لا كسرنا العظم ما فاده مداوي

والتفق لا ثار بالعادي نقره

نعتصم بالله لا جات البلاوي

فوقها كل أبلج منه مسره

ما نسى من كلمة الغر السحاوي

(د)- الشاعر راشد بن سعد بن هايلة من البحيح الذي أصابه مرض السل الذي لا يوجد للناس سبيل لعلاجه في ذلك الوقت وكان المصاب بهذا المرض إذا دخل نجم سهيل وهو وقت البراد يموت حالاً. وهكذا تجد أن المريض يحسب الأيام يوماً يوماً قبل دخول نجم سهيل، فلما أحس بقرب طلوعه قال هذه القصيدة:

بالعشي شرفت في رجم منيف

هلت عيوني صبيب زلالها

هاضني نوٍ تزبر له قنيف

يسقي الجيبان عقب محالها

انبتت عقب المحل عشب وريف

وين أهلها يوم محد جالها

يا نديبي فوق صايغة الصفيف

عيرةٍ طلع الرسن يهيا لها

محقبتها ما تناوشها الرديف

وانبغاها ما ينوش حبالها

نصها ربعي مروية الرهيف

غلمة فج الحريب أفعالها

لا زبنهم مجرم جنده ضعيف

يجعلونه في بريد ضلالها

في مجالسهم يشك انه شريف

لين ما نفسه يزيد هبالها

والشاعر راشد بن سعد بن هايلة، من آل سمرة من عامر من

محمد البحيح من بشر من شبيب وشيخهم الصعاق، وهي عائلة تعتبر من قدماء الشيوخ والوجهاء في قبيلة آل مرة واشهرهم الشيخ متعب الصعاق الذي كان كبير البحيح عند غارة الملك عبدالعزيز عليهم في التامتين عام ١٣٣٤هـ-١٩١٦م، كما سبق أن ذكرنا في تاريخ ابن بسام، واشتهر من فرسانهم ابن هاشل الذي كان من فرسان البحيح البارزين في زمانه..

ويجتمعون في عامر مع آل سنيد وأشهر شيوخهم الشيخ الفارس محمد بن الدعية، والشيخ الفارس سالم بن مشعاب، والشيخ أبوقبا، والشيخ ابن نحيان، واشتهر من فرسانهم عدد ليس بالقليل وأشهرهم الفارس سالم أبو عجيم (الملقب بقضام الحديد) وهؤلاء شاع صيتهم في قبيلتهم والقبائل المجاورة عامة. هنا وبالرغم من فداحة الألم وشدة مصيبة الشاعر إلا أنه ركز في قصيدته على ذكر مكارم قبيلته وأخلاقها النبيلة لدرجة أن المطلوب إذا زبن عليهم ودخل بيوتهم يشك أنه من عائلة الأشراف لكثرة ما يجد من الاحترام والتقدير. وقد أصاب الفارس سعيد بن عليان آل مقارح مثلما أصاب ابن هايلة بالضبط وهو مرض السل، وانتظر ظهور نجم سهيل مثله أيضاً وقال قصيدته الموجعة وهي:

حل العشي أشرفت في راس مرقب

في راس رجم مدهل للقبايلي

إلى بان نجم سهيل مع عاتق النقى

شدوا وخلوني بغبر النثايلي

ابكي ويبكوني ربوع تقابلوا

الناس في كثره وهم في قلايلي

إلى جاهم المخطي ولا يقبل الدواء

يروح عدل عقب ما كان مايلي

الله واعلم في الحميدي وفي علي

وفي راشد هيف الغنم والجلايلي

يا عين أبكي مهرة كن سبيبها

شختور صيف من حقوق المخايلي

أبي أتمنى شدة عقب شده

عشرين بين التروحه والقوايلي

وإلى ذكر خطر ودونه مهابه

ودونه من البيداء سهال محايلي

قطعته بهمي ثم عزمي وهمتي

وعرب تشادي للفروس الغلايلي

إلى انزعج البارود مني وهيفت

للدم من رفاضة العضد سايلي

قصيدة توضح شعور الإنسان وهو في العد التنازلي لباقي أيامه.

وأما قول الشاعر (الله أعلم في الحميدي وفي علي) وهؤلاء أبناء أخيه لكونه لم ينجب إلا بنات وكانوا هم بمثابة أولاده. فهذه مصداقية لمقولة إن الإنسان عندما يشعر بقرب أجله يتركز تفكيره وقتها على أولاده لا سيما إذا كانوا صغاراً.

(هـ)- قال سعد بن شفيا الدوسري من الغييثات واصفاً شجاعة أصحابه وشجاعة قبيلة آل مرة ولا سيما دعيكان بن حرب العويري وشقيقه مسعود الذين أغاروا على إبله وهم ثمانية رجال تقريباً واستطاع أن يحميها وحاول كسب إبل الغزاة ولكنهم استطاعوا حمايتها والدفاع عنها، فتبادلوا مواقف الشجاعة كلا الطرفين وأصبح يقال للغييثات أهل الثمان، وذلك لكون إحدى النساء قالت لهم قبل الغزو (تروا ركابكم وداعة معكم لا ياخذهن دعيكان) (لأنها توقعت صعوبة مطلبهم) وكان عددهم ثمانية أشخاص وهذا معنى التسمية أهل الثمان فقال:

يا للّه يا واحدن ولا معه ثاني
يا عالم الغيب يا قاضي نوايبنا

لحقوا على طالبٍ خيل وصبياني
يدعون بالمنع طمعوا في ركايبنا

جعلك فدى للركايب يا دعيكاني
بلى ثمانن وداعن من صحايبنا

ومسعود يدلي علينا كنه سرحاني
وده بنا مير عدنه مخالبنا

حنا الغيثات ما حنا بذلاني
وفقين رفقين ما تخطي ضرايبنا

نعمن بابن مسند هو وابن غدفاني
يوم أشهب الملح والبارود حاطبنا

ونعمين لأخو هيا هو وابن درعاني
هم محمل الهوش لا قلت عجايبنا

ونعم بشمروخ راعي البكره الواني
لعيون غرون تنبأ من صحايبنا

طمرت انا طمرةٍ تنسب بها الواني
في مكظم الريع يوم البر ضاق بنا

قوله: (جعلك فدى للركايب يا دعيكاني) هكذا تروى عند قبيلة آل مرة وتروى لدى رواة الدواسر بلفظ: (والله إن تخلي الركايب يا دعيكاني) وهو معنى قوي أيضاً.

وأما قوله:

لحقوا لنا طالبٍ خيل وصبياني
يدعون بالمنع طمعوا في ركايبنا

فهناك من يقول من رواة القبيلة إن المقصود هو طالب بن محمد آل شريم الذي كان موجوداً وقت الغارة وهناك من يقول لم نسمع بهذا من قبل وإن طالب أي بمعنى الطلب، وهم الذين يلحقون القوم وأنا أرجح القول الأول لكون المثبت مقدم على النافي، ولو لم يرد ذكره لم نقبل مجرد المزاعم ولكن عند كونه مذكوراً فالأصل وجوده وانه هو المقصود. وكون الشخص لم يسمع بهذا الشي ليس عذراً كافياً لرد الرواية إذا ثبتت صحتها، وهذا طبيعي لكون القبائل والأفخاذ كل يذكر ويحفظ بضاعته وما يخصه من الأحداث خاصة ما كان فيه فخر وبطولة بلا شك.

(و)- من الروائع الشعرية قصيدة الفارس هادي بن طيثاب آل حسناء التي لم نعثر منها إلا على ثلاثة أبيات فقط هي:

القلب هاض وهيضه يا بن دحباش

ربوعنا اللي فوق قب عيادي

يا ليتني معهم على كور مرهاش

بأمات خمس اللي فشقها جدادي

وإن كان ما قالوا هل الخيل سوى آش

وإلا فعدوني ذعور القنادي

وابن دحباش من عقداء وفرسان آل جابر من قبيلة آل مرة..

ومثلها في الروعة قصيدة الشاعر سالم بن محمد بن ريحان الجابري وهو يشجع رفاقه ويرفع من معنوياتهم أثناء السير لإحدى المغازي:

يا زين عقب العمس لأشرف البادي

وأقبل يزقف مخيرته ويقضبها

قال ابشروا بالطمع ما ني بحسادي

السبل عروض ومعطتكم مناكبها

في ضربنا المسعد اللي ترث الأجوادي

يا زينها تتبع الحكال يجذبها

غرنا على البل وشلنا كل محشادي

وهو عند عين الحليله مايغايبها

وهذه الأبيات تعبر عن أمنية القوم الذين في غزية لكسب الإبل والتي تتمثل في الحصول على أكبر عدد من الإبل وأقل عدد من الخسائر الروحية أو الإصابات البدنية لهم ولأهل الإبل لكون أهل تلك المغازي لا يحبون إراقة الدم ولا يسعون لها إلا عند الدفاع عن النفس فهذه الغارات ليست في طلب ثأر وإنما لكسب الإبل.

وقد اشتهر الكثيرون من العقداء والفرسان أهل الحظ الأوفر والبخت الكبير الذين يكسبون الإبل دون أن تطلق رصاصة واحدة مثل الفارس الشيخ صاهود بن لامي من قبيلة مطير والذي يقول فيه الشاعر المخضرم والصديق العزيز فلاح بن عراك المطيري قصيدته الشهيرة التي وجهها للشاعر صحن بن قويعان المطيري فقال:

يا صحن صاحبي تل قلبي تل

تل صاهود للهجن في دوره

تلهن مردي الهجن وقت زل

لو وفقهن لواهيب وحروره

روحن قبل يكسر مريع الظل

كاتفات ورا الشيخ واسبوره

لا ركب فوق عوص النضا ما ذل

يقطع السرح من حد مقهوره

ومثلها في الروعة هذه الأبيات نسبت إلى الشاعر أبو رقبة الجابري ونسبت للدمناني أيضاً، وهي بعد معركة أم أثلة الشهيرة، وفيها يقول:

يوم جانا بيرق الشيخ يمشي به

ما تقهقر لين عقرت بسلماني

فعلنا سمر الذوايب تماري به

ما ارتهقنا يوم روغات الاذهاني

بشروا جوب الغضى لا عوى ذيبه

العشاء يلقاه في خشم بركاني

جنب الناموس واقفى يغني به

هملوا بالحيش خيل وصبياني

وهذا البحر يعتبر من أفضل البحور الشعرية للقصائد الحربية ويمكن أن يشال في العرضات النجدية والعرضة النجدية لا يليق بها كل بحر لكونها على بحور خاصة بها والبحر الأساسي منها يسمى بحر العرضة وهو لون حماسي وجماعي..

(ز)- موقف الفارس آل مكسور :

حرص الرجل المري على الأمانة المودعة لديه والتي تفوق حرصه على الحفاظ على ماله الخاص، يتضح لنا ذلك من خلال موقف الفارس جابر بن حمد آل مكسور آل عوير الذي كان يقيم في الجافورة، وكانت لديه إبل للشيخ سلمان آل خليفة مودعة عنده، وهي همل في الجوافير ترعى دون أن يكن معها رعيان للحفاظ عليها فأغار على الإبل بعض قطاع الطرق ونهبوها وهربوا بها لجهة الشرق فلما أتاه أخوه سالم (السودي) قال ما بالك مختلف؟ أنت فيه محقة!! عسى ما شر؟ فقال:

يا بو حمد يا خوك ما ني بعطان

القلب الأقشر زاد فيه التعاجه

الـذود راحـت مـن سـروق لـسرقان

والـــذم مــا يديــه كثــر اللجاجــه

تـبى ركــابٍ كالـفـــات وشـــيبان

وربــعٍ علــيها يقطعــون الــزراجه

لا هــم بعمـسين ولا هـم بـذلان

وأن جـاهم المخطـي تجيهم عـواجه

وحـنا ثـلاث رجـال والـثالث عـنان

وأنــه يجـي يــوم يـثور عجاجــه

وإن كــان مـا جيـنا بذيـدان سـلمان

فــلا لــنا في صــافي الـبن حاجــه

فساروا على أثارها حتى أدركوهم واستطاعوا استعادة الإبل.

(ح)- قصيده فريدة للحايف :

يعتبر سالم بن الحايف من فخذ آل حسناء من البحيح من أعلام القبيلة ومشاهيرها وقطب من أقطاب الشعراء فيها ولا سيما في أشعار الحماسة أو القصائد الحربية لما دونه من أحداث تاريخية

مهمة للقبيلة عبر أشعاره المحفوظة والمنتشرة، ولو لم يحفظ منها سوى أبيات قليلة ولكنها تؤدي الغرض في الاستشهاد على الأحداث عن النقاشات التاريخية شأنه شأن مشاهير الشعراء الحربيين في الجزيرة العربية مثل محمد العوني من شعراء القصيم وصاحب القصيدة الشهيرة ومطلعها:

راكـــب فــوق حــر يذعــره ظلــه

مـثل طـير كفـخ مـن كـف قـضابه

مــا حلــى فــزته والخـرج زاهٍ لــه

والـمــيارك على مـتـنـه تـهزى بـه

وغانم اللميع من عنزة وصاحب القصيدة الشهيرة التي منها:

الــوعد وان ســيل الله كــل وادي

حـرمة اليـسرى تـرى الممـشى يميـنا

عـن نـذاكم نرتـجــي رب الـعـبـادي

نبي حكم الله ولا حكمك علينا

وغيرهم كثيرون ممن برع في هذا المجال الحساس والذي لا يتقنه كل شاعر مهما بلغت قوة شعره .

ومما أجاد فيه سالم الحايف في هذا المجال قصيدته بعد المبرنس الشهيرة والتي مطلعها:

راكب اللي تنهض الكور وتشله

دارب ما فوقها كون هولاني

إن لفيت خميس بالخبر قل له

والبشير يطرشه صوب ضيداني

خبره باللي جرى عقبهم كله

وامدح اللي يجعل الروح نيشاني

علماً فخذ آل حسناء اشتهر في كونه أنجب للقبيلة بكاملها العديد من الشعراء الكبار الذين اشتهرت أحداثهم وأشعارهم على نطاق واسع جداً ولا سيما شعراء آل قرح وفرسانهم المشاهير وأبرزهم سعيد بن عليان بن مقارح.

وقد كان الناس يخافون الشاعر الحايف ويهابون أشعاره السليطة وأبياته الهجائية التي لا بد أن تنتشر وتحفظ لدى الناس وهي خصلة لا تعتبر ولا تحسب من السلبيات عليه لكون ذلك حال كبار الشعراء في جميع القبائل وفي كل الفترات، ولأن الشعر يعتبر

سلاحاً من الأسلحة القوية والفعالة، والتي يحق لمالكها أن يستخدمها عند الحاجة كما يجب على العاقل أن يتجنبها مثلما يتجنب السلاح الذي في يد العدو..

ولذلك يعتبر استخفاف الرجل بفحول الشعراء من الأدلة على بلاهته وعدم رجاحة عقله وقصر نظرته ومعرفته بعواقب الأمور وإنما يعاب ذلك على الشاعر إن كان يستعمله لأتفه الأسباب وعلى من يستحق ومن لا يستحق، فيكون بذلك قد تجاوز الحد المسموح به، وهو الدفاع عن النفس، بل جعله وسيلة للتفكه والضحك على خلق الله وهنا يقع في المحظور..

وأقدم المحفوظ له من الأشعار كانت أبياته قبل معركة الوجبة الشهيرة وهي:

جيناك يا جاسم من البعد عانين

جينا نلبي دعوتك يا ابن ثاني

من نقوة آل بحيح خمسه وستين

أهل السلوم الطيبه والمعاني

قوم على ذبح العساكر مضرين

عدوهم تاتيك عشره ثماني

في حين أن آخر قصائده حسب ما يظهر لي هي القصيدة التي سوف أوردها الآن وهي تدل على أنه عاش حتى فترة ظهور السيارات في الخليج وهي فترة الخمسينات الميلادية وهذا يعني أنه عمر فترة طويلة وأنه قد يكون في المائة من عمره حين وفاته..

وآخر قصائده التي قالها في أواخر عمره هي:

ألا يـا للّــه يـا مــنهو كــريم

يــا عــالم خفــيات الــصدور

عـاونــا علــى الدنــيا بخــير

وريــف ديارنــا عقــب الدهــور

إذا مــا صــاحب يــنفع صــحيب

وكــلٍ بــار فانــك مــا تــبور

بغيــنا تجارنــا تــصبر بــدين

وقــالــوا ديــنكم ديــن الجــبور

فبعــنا الجــل ســترٍ للوجــيه

والحــشوان قــد راحــت كــسور

نــريد الــضيف يلقــى لــه وقــار

ولا مــتجمل الا بــمخــسور

فــان الــشح مــا يــذكــر بخــير

عــندالله وعــند الــناس عــور

ولا شــيٍ عــاد ياتيــنا بقــوه

ودرب الــصدق غالــبه الفجــور

وقــد الــذيب مــع ابالحــصين

مــا عــاده إلى شــافه ايــنور

وقــد فعــل المــراجل باللــسان

ولا راعــيه خمــعٍ ومعــثور

تــشوفه قــالطٍ عــند الــشيوخ

بــثوب وبــشت لكــن فــوق ثــور

وياخــذ شــرهته قــبل الــرجال

الــيا كانــوا ايــنوون الحــدور

كــنه عــندهم خطــوات ديــك

ذاك اللــي ايغــني في الــسحور

فأنا طالبك في خطوات ليل

وكشاف الدجى برقه سمور

كن صوته ارحي في البلاد

أو صوت المواتر في الوعور

من الرمله إلى باب الكويت

ومن اليمه مناشيه حدور

على دار حمران العيون

آل سعود وافين الشبور

يتلون شيخهم عبدالعزيز

مثل الصبح يطلع فيه نور

هو الشيخ ما غيره بشيخ

ومن خاواه يبشر بالسرور

واللي بيتبين بالعداه

كتابه في اشماله ومعسور

ومحداره على صبيان يام

إلى من جات ضيقات الصدور

إلى من حزموها بالعضاد

بني البيت والبندق تثور

عشب الصلب يا ما قد حموه

خلي زاهي قد فيه نور

ينحون السبيعي والدويش

على غير ما يرضون زور

هل بيارق تفضي الحلال

اليا من درقت حمر النسور

وعلى الهاجري حيثه كريم

من عقب العشا حط الهجور

محالفنا وهم سقم الحريب

في كبد العدو منهم وثور

في العسرا يجرون الصحون
للمركى ويبقى للبزور

وعاد الخالدي منهم وفوق
على واطي الديره صبور

أهل السمت عز للقصير
ترفى خلته رفي الطيور

وعلى دار ذباحة الحوار
متيهة العشاير في القفور

هاذولاك صبيان آل مرة
يرمون اللحم باللي اتجور

من عاداتهم ذبح العقيد
ولا ضرباتهم تخطي النحور

في الهيات ناتي فوق خيل
كنها إلى نوت في رد عور

ترد الموت عند الجاذيات
ميراد الحدايا للنقور

يجون كبارنا قبل الصغار
مثل السيل هدام القصور

بيضان المحاقب في الطراد
فيما قد مضى فيهم كسور

قد الجوخ مثل الديدحان
يوم الحرب في تلك العصور

ويا ما قد سهجنا من حفيف
وجينا بابلهم عربن وخور

وكثرنا الصوايب في الطريح
وشبع الذيب هو ويا النسور

واحمد الله على وقت الأمان
لان الحرب من نوع الدبور

شيدها لنا شيخٍ امحيل

ولا نايرٍ منه ينور

في كوت الحسا شيخ السعود

وفات الحي واللي في القبور

طلاب القدى يعطيه زود

والمخطي يحطه في ثبور

يقصه إلى هو في التراب

وإلى من طار رده بالطيور

وبن ثاني عسى عزه يدوم

شيخ البر واللي في البحور

إن أعطى فنستأهل عطاه

يعطي الخيل وكبار الظهور

عسى دارنا وبل الرجوع

من شمال والزيران جور

يطرب خاطره هو والقنيص

ابطراد الحباري في القفور

حن أرجالهم في كل حال

وفي معروفهم ما حن نبور

رجاجيلٍ لجده من قديم

ولا بد للدنيا تدور

في هذه القصيدة التي تبلغ (٥١) بيتاً شعرياً على البحر الهلالي القصير ولكنها تحمل من الفوائد الشيء الكثير بالنسبة للمؤرخين، وتعتبر مواضيع مهمة يستطيع القارئ الحاذق أن يستخرج منها العديد من المعاني التي تعطيه صورة واضحة عن أهم الركائز في حياة الرجل من قبيلة آل مرة في تلك الفترة من الزمن وهي ما قبل مائة عام تقريباً..

وتغلب عليها الصبغة الدينية والإيمان القوي الذي تتكرر معانيه في الأبيات بشكل واضح عندما يتطرق لشدائد الدنيا ومصائبها فنجده يوكل الأمر لله سبحانه وتعالى ماضيه ومستقبله، وهذه الصبغة تكاد تكون غالبة في جميع أشعار القبيلة بكاملها وفي جميع مجالات أشعارها الأدبية..

ومن الواضح أن السبب الذي دفع الشاعر لهذه القصيدة كان شعوره في الحاجة وقلة ذات اليد مع كونهم محط أنظار الضيوف الذين لا بد وأن يحصلوا على حق ضيافتهم كما هو شرع الله، والعادات العربية الأصيلة، حتى أنهم اضطروا لبيع الكثير من حلالهم الغالي وهي الإبل لكي لا يقعوا في ملامة التقصير في حقوق الضيف وغيرها من الحقوق، وهذا واضح في قوله:

إلا يـا لـلـه يـا منهو كـريم

يـا عـالم خفـيـات الـصدور

عـاونـا علـى الدنـيا بخـير

وريـف ديارنـا عقـب الدهـور

ودائماً في أوقات الجدب والقحط يعتري الإحراج بعض من يكون منزله على طريق الضيوف وأبناء السبيل لكونه لا يجد ما يقدمه لهم، ويخاف من معيبة الناس وما يسمى سواد الوجه كما قال عبيد الأسعدي في وصف بلدته بقعاء:

ربي جعلـهـا للطـراقـي ممـره

وفقـر القـرايا في نعالـه وطاهـا

يـا حـيف يـا خطـوا الـسنافي تغـره

يمـوت وباقـي حاجـته مـا قـضاها

بل إن الشاعر في قصيدته صرح تصريحاً واضحاً أن التجار رفضوا إعطائهم شيئاً إلى أجل (أي بالمداينة) في قوله:

بغـيـنـا تجارنـا تـصبر بـدين

وقـالـوا ديـنـكم ديـن الجـبور

فبعـنـا الجـل سـترٍ للوجـيه

والحـشوان قـد راحـت كـسور

وهذا يؤكد أنهم كانوا في أوقات جدب وقحط وحاجة وأعتقد أنها في عامي ١٩٤٠م-١٩٤١م وهي السنة التي تسمى في نجد (سنة الغبار) والتي تعتبر من أقسى ما عرفه الأجداد من سنين القحط والدهور حتى مات الحلال وانتشرت الأمراض في الجزيرة العربية وتسميتها بسنة الغبار لكون الغبار كان ينزل من الأعلى على الشجر، وكل دابة تذوق الشجرة تموت مباشرة سواء كانت بعيراً أو من الغنم، حتى هلكت أغلبية المواشي في الجزيرة العربية وأصابت الناس مجاعة شديدة، وقد وصف شيئاً من ذلك الشاعر في قوله:

فبعنا الجل سترٍ للوجيه

والحشوان قد راحت كسور

نبغي الضيف يلقى له وقار

ولا متجمل إلا بمخسور

ونستطيع التوصل إلى كون الشاعر يقيم في حينها حول الإحساء وضواحيها القريبة وذلك من دعائه بالمطر والغيث على أربع قبائل وهي قبيلة يام (آل مرة والعجمان) وقبيلة الهواجر، وقبيلة الخوالد وهذه القبائل هي الأقطاب الأربعة الأساسية من سكان الإحساء، وقد وصف الهواجر والخوالد بالكرم الغزير في حين أنه افتخر في كون هذه القبائل قد تمكنت من حماية منازلهم من قبيلتي مطير وسبيع، وهي من أقوى القبائل المجاورة لهم.

وفي القصيدة أيضاً التركيز على ولائهم لولاة الأمر في السعودية وقطر والتركيز على أنهم من رجالهم المخلصين منذ القدم، ولا يزالون على ذلك.

وفي مجمل القول إن هذه القصيدة تعتبر جامعة فعلاً ولا تتضح معانيها المتعددة إلا لمن يدقق فيها بشكل قوي ومركز، وعندها يستطيع أن يستخرج الكثير من الفوائد التاريخية المهمة..

(ط)- الفارس همدان آل لهيمس :

عندما قتل الشيخ محمد بن شريم كان لذلك ردة فعل قوية لدى أفراد القبيلة بكاملها حتى أن الشيخ لاهوم بن شريم جعل أفضل خيوله وأشهرها جائزة لمن يتمكن من الثأر له وقتل قاتله.

وفي أثناء الهجمات التي شنها الأمير عبدالعزيز بن سعود بن فيصل ومعه العجمان على القبائل المجاورة ومن ضمنها قبيلة بني مره كانت أعين فرسان قبيلة آل مرة تبحث عن قاتل الشيخ محمد بن شريم، وكانت رؤيته من نصيب الفارس همدان من آل لهيمس، وهي عائلة أنجبت العديد من فرسان آل سنيد المشاهير، والذي ما إن رآه حتى ترك الناس بكاملها وتوجه إليه، وبعد صولة وجولة معه استطاع التغلب عليه وتمكن من قتله والثأر لشيخ من شيوخ القبيلة المعدودين.

وبعد انتهاء المواجهة ما الذي حدث؟

أقبل الفارس همدان على مجلس الشيخ لاهوم فقال البعض: هذا همدان أقبل يريد الحصان، وهو جائزة الثأر التي وضعها الشيخ لاهوم الذي قال: لا أعتقد أن همدان أتى من أجل ذلك. قالوا ولماذا؟

قال: إني أعرف همدان جيداً فهو ليس ممن تغريه الجوائز، وسترون صدق قولي..

عندما دخل همدان إلى المجلس قال له الشيخ لاهوم: أبشر بالحصان.

فقال همدان: لم آتِ من أجل ذلك والحصان تستأهله يا أخو صافية. ولكن يوجد لرجال آل دمنان ثأر علينا جعل علاقتنا متوترة معهم بالرغم من كوننا نعيش سوياً كقبيلة واحدة نرحل وننزل سويةً وأريد منك إنهاء المشكلة هذه بدلاً من الحصان. فقال: ابشر. وبالفعل سار الشيخ لاهوم إلى آل دمنان وتوصل معهم إلى تسوية نهائية للمشكلة التي كانت قائمة بينهم وبين آل سنيد أعادت الوئام لبطون القبيلة من جديد.. فهذه الحادثة الكبيرة كيف تضيع شواهدها؟؟

لو لم تكن مرتبطة في إنهاء الخلاف بين آل دمنان وآل سنيد لما تم حفظها. ولضاعت مع ما ضاع من الأحداث. وانظروا إلى اسم الفارس همدان الذي لا يكاد يعرفه أحد من أبناء القبيلة، مع أن هذه الحادثة تدل على شجاعته وشيمته وعزة نفسه ورجاحة عقله وبعده عن الأنانية عندما قدم المصلحة العامة على مصلحته الشخصية..

(ي)- آل ضرفاس وضياع الشواهد الشعرية . .

لا أعتقد أن في قبيلة آل مرة فخذا ضاعت أشعاره التاريخية أكثر من فخذ الضرفاس من البحيح، علماً أن آل ضرفاس وآل سنيد

الذين شاركوا مشاركة فعالة في صناعة تاريخ القبيلة وترجيح موازينها في الأحداث الشهيرة والحساسة بشكل يشهد به الجميع ويدل على ذلك كثرة الأسماء الشهيرة والمميزة من الشيوخ والفرسان والقادة الذين فرضوا أنفسهم على الساحة بأحداثهم ومواقفهم القوية ولكن الباحث والمؤرخ يبذل جهداً مضاعفاً لكي يحصل على حادثة مدعومة بالشواهد والأدلة التاريخية، وسوف أعرض بعض الأمثلة:

أولاً : فرسان آل ملهيه . .

فرسان آل ملهية وهم سبعة أخوة لا يوجد فارس منهم إلا وله فعل مميز وشخصية مميزة، ولذلك يتكرر ذكرهم في المجالس عند الحديث عن تاريخ القبيلة إلا أننا لا نكاد نسمع من الأشعار إلا البيت أو البيتين التي تشهد لشجاعتهم كقول الشاعر في زربان وصالح أبناء ملهية:

بيض اللّه وجه زربان وصالح

والنشامى والقروم من العيالي

يوم ولد اللاش غادي له مصايح

صاب جمع الخيل من هدباء جفالي

وقول أحد الشعراء في وصف إحدى مغازيهم التي كان الفارس

علوان بن ملهية هو دليلتهم في تلك الأرض الجرداء التي يسيرون فيها أثناء الليل:

من الجوف سرنا فوق هجن ملاهيدي

ومن كثر ني فوقها يقلز البدان

ولا صوعت يوم الخضر بالتلاديدي

ومرباعها من حبل جوده ايلى ودعان

شهرنا عليهن مثل حر شبح صيدي

مزاعه من الديرة على مفرش الوديان

وساموا عليها في الليالي الأواليدي

ونزفنا عليها صاري الجم بالقلصان

وجنك أهزال مثل وصف المعاويدي

على كثر ما يطلع ويوطي بها علوان

ويا هيه يا للي تجعل الحجل في الأيدي

تشومين للي فوقها ناشو العدوان

من الواضح أن هذا المغزى كان بعيداً جداً واستغرق الشهر أو الشهرين، وهذا ظاهر جداً من وصفه لركائبهم التي ساروا عليها، وهي سمينة عريضة اللهود، ثم عادوا وقد أصبحت كالمعاويد، وهي الإبل التي تسحب الدلو من البئر عبر الحبال الطويلة، فتقضي نهارها ذهاباً وإياباً فتكون ناحلة البدن ظاهرة العظام عادة، وتكون دائماً في الفلائح والمزارع أكثر من البادية الذين يسحبون الدلو بأنفسهم لكون حاجتهم من ماء البئر محدودة عكس الفلاح الذي يسقي من الفجر إلى المغرب.

(الملاهيدي): السمينة من الإبل.

(يقلز البدان): هو القماش الذي يكون تحت شداد المركوبة لكي يقي ظهرها من الاحتكاك بالخشب القاسي.

(التلاديدي): منع الإبل من الرعي في الأراضي المعشبة.

(مزاعة): زاع إذا ارتحل بسرعة من مكان إلى غيره وتطلق على الإنسان والإبل والطير وكل متحرك.

(تشومين): هي تقال لمن يرتفع بنفسه عن المكان والفعل الرخيص إلى الغالي، وهي هنا بمعنى تتطلعين وتتوقين وتتجملين..

ثانياً ـ العقيد متعب المنخس..

لا يوجد من فرسان قبيلة آل مرة من اشتهر في مهارة الرماية

والقنص والدقة في التصويب مع الشجاعة في القلب مثل متعب المنخس وعبدالرحمن بن نقادان وهما أكثر فرسان قبيلة آل مرة ضياعاً للشواهد الشعرية والتاريخية.

وبلا شك إن الدقة في الرماية لا تكفي وحدها ما لم يكن لدى القناص قلباً شجاعاً يساعد القناص على الركود والهدوء في أوقات الشدائد والخوف لكون الرجل الرعديد مهما كانت مهارته في ساعات الرخى، فهي تنعدم عندما يقع في شيء من الخوف والخطر وعندها يطلق عليه لقب (قناص ظباء) أي إن مهارته بالرمي لا تظهر إلا على الصيد.

وفي بعض الروايات غير الجازمة إن متعب المنخس هو الذي رمى الشيخ حزام بن فاران في معركة قبورا عندما قاد جمعاً من الفرسان لمهاجمة إبل قبيلة آل مرة، وتمت المواجهة في قبورا وكانت قبيلة آل مرة بقيادة الشيخ محمد بن شريم وقد جرى ذكر هذه الواقعة في قصيدة فهيد بن هويدة الجابري تلك القصيدة الثلاثية الرائعة التي يقل النظم على بحرها بين الشعراء، وفيها قال:

يـا نـديبي مـن علـى عـشوا الـسنام

باجـة الأرض الخـلا الخلـو الخلـيه

باجة الأرض التنايف بالصفيف

وهو الذي استطاع أن يقف موقفه الشهير في معركة (محرقة) ضد جموع من العجمان بقيادة سيف بن غزيل عندما استطاع أن يلحق بهم ويرمي خمسة وسبعين رصاصة وجميعها كانت تصيب فرسان القوم أو ركائبهم، حتى قال سيف بن غزيل: لو لم تغيب الشمس لكانت بارود متعب قد قضت على كامل الجمع الذي معه.

ولذلك كان الشيخ أحمد بن محمد آل ثاني إذا قدم بعض البنادق يوصي بأن يتم تقديم الفارس متعب المنخس حتى يختار منها بندقيته بنفسه قبل الجميع، لكونه يعلم مدى فعالية ذلك في قوة الجيش عند مواجهة الأعداء..

وكان متعب المنخس قائد البحيح في المواجهة التي جرت بينهم وبين سيف بن غزيل ومن معه من العجمان عندما أخذوا إبل ابن مهران الغفراني فلحقوا بهم حول حدود الإحساء ووقعت المواجهة التي استطاع فيها الفارس ابن دحروج من الضرفاس القضاء على سيف بن غزيل، بالرغم من فروسيته وشجاعته الشهيرة.

وهو الذي ينسب إليه أو إلى حمد بن مسعود (جنحان) أن أحدهما الذي رمى احد شيوخ الفغوم أيضاً في معركة الوريعة التي وقعت بين العجمان وجموع تابعة لابن رشيد، أمير حائل وكانت قبيلة مطير هي الثقل الأول فيها.

في حين سارت قبيلة آل مرة لنصرة العجمان عندما جاءتها الشلائل من العجمان تطلب النصرة والفزعة فسارت بقيادة الشيخ محمد بن شريم عام ١٣١٢هـ.

ومن الضرفاس أيضاً:

الفارس علي بن سالم بن حمد (نشيرا) بن سالم بن وذين بن مانع بن حنيتم آل بحيح الذي بان فعله في معركة الزبارة عام ١٣٥٦ هـ/١٩٣٧م حتى مدحه أحد المعاضيد مع بن ماشوم عبدالله بن بخيت وجارالله وهؤلاء من فرسان آل نابت في أبياته الشهيرة التي منها:

ابـــن نـــشيرا وابـــن ماشـــوم

صـــبوا لهـــم صـــافي الدلـــه

نـــوابت ضـــربهم مـــسموم

ضـــرب النـــشاما علـــى القلـــه

والمـــدح يـــا نـــاس دايم دوم

الـــمـــدح يـــثنى لجـــار الله

ومن المعروف أن فعله هنا لم يأتِ من فراغ، ولم يكن مجرد

صدفة عابرة لو لم يكن صاحبه معروفاً بذلك، حتى لو لم يُحفظ له أبيات كثيرة من الأشعار التاريخية..

ثالثاً ـ الفارس تويم بن خصوان. .

الفارس الشهير صاحب (الحصانة) وهي فرسه المعروفة التي صال وجال على ظهرها حتى قال أحد شيوخ الفغوم من مطير عندما سأل: هل شعر بالخوف في يوم من الأيام فقال: نعم عندما قابلت تويم بن خصوان على الحصانة وهو الذي يقول:

يـا والله إلا غـــدا شـوفي وخلانـــي

يـا لـيت شوفي مع الحجـاج تلفـي بـه

يـبكون شـوفي بنـي عمـي وجيراني

إلى جـاء نهـار جميع الناس تدري به

لا طـار ستر الـصبايا والـردي خاني

عـند المظاهير غالي الروح نصخي به

إلى ركبـنا علـى طـوعـات الأرسـانـي

كـم واحـد مـن شيوخ القوم نرمي بـه

يـا ليـتني مـت فـي زوغـات الأذهانـي

في ملتقـى الخيل عاد الروح ودي بـه

وكان الفارس تويم يقول: إني محظوظ أكثر من علي بن الميت الذي كان يفعل أكثر مني عند مواجهة الأعداء ولكن لا تشتهر أفعاله بين الناس، بينما يشتهر الفعل مني ولو كان أقل منه. وهذا يدل على ثقته بنفسه وابتعاده عن الفخر والخيلاء.

ومثل هذه الحالات كثيرة وهي أن الفارس يشتهر فعله مهما كان بسيطاً، في حين لا يشتهر لغيره ولو كان كبيراً.

فقد اشتهر الفارس شليويح العطاوي بالرغم من كون أخيه بخيت أكثر شجاعة وفروسية منه، واشتهر الفارس عقاب العواجي بالرغم من كون الفارس لزام المطردي كان سنده الأيمن الذي يشاركه في كل شيء ولو لم يشتهر كشهرة عقاب وهكذا..

رابعاً ـ جابر وسعيد آل دجران . .

وهذان الفارسان من فرسان الضرفاس وخالهم ابن الميت من الضرفاس أيضاً ممن ضاعت أكثر الشواهد الشعرية التي تثبت أحداثهم التاريخية القوية، فمثلاً سعيد بن دجران لم نعثر على شيء من شواهده.

في حين عثرنا لجابر بن دجران على شاهد واحد فقط وهي أبيات دحيم راعي الحوطة ويقال إنه من سبيع والتي سبق أن ذكرناها

في فصل تحديد معارك القبيلة بكاملها عندما قال ضمنها:

لا واحسايف يا غروب السواني
لا جات هذي ثم هذي معرواه

غدى بها جابر زبون الحصاني
زبن الحصان إذا ارتخى سير علباه

وأنا (دحيم) عيد من كان وإني
ماني بهشام(ن) لمن طاب مجناه

ودحيم هذا بالرغم من قوة أبياته التي تدل على مكانته الكبيرة إلا أني لم أجد أي معلومات عنه لدى رواة تلك المنطقة عندما سألت عدة أشخاص من المهتمين في جمع التاريخ وحفظه.

ومطلع هذه الأبيات مطلع لذيذ جداً، وهو نفس المطلع الذي ابتدأ فيه حمود بن عبيد الرشيد بعد مقتل أولاده سالم ومهنا في معركة الصريف، والتي قال فيها:

لا واحسايف يا نوادر عيالي
اللي يعظون النواجد على الكود

وقد كانت نهاية فرسان آل دجران القتل في أرض المعارك في تلك المغازي التي كانوا يسيرون فيها هنا وهناك، فمثلاً سعيد بن دجران قتله شاب من شباب آل شامر من العجمان في الرقيقة قريب الإحساء، في حين قتل جابر بن دجران في غزوة من غزواته على القبائل الجنوبية وأخذ بثأره بنفس اللحظة الفارس سالم بن الأحيمر من آل سنيد.

وكانت مغازيهم كلها تسير حسب توجيه الفارس والدليل حمد بن عضيبة بن راشد الذي كان يعرف أسرار الصحراء ومداخلها ومخارجها والخفي من الدروب، وكان بمثابة السبر لهم لشهرته في القنص ودقته، فيه ما عدا المغزى الذي قتل فيه جابر الدجران، فهو لم يكن برفقتهم.

وجابر الدجران هو صاحب الأبيات الغزلية الشهيرة التي قالها عندما رأى إحدى البنات الجميلات وهي لا تكاد تلفت إليه لكونها تنظر إلى شاب وسيم جميل الهيئة والملبس ولم يذق متاعب الدنيا وأهوالها فقال:

شامت وشمنا وخالف نوها نوي

غدى هواها لغيري وانسمح بالي

شامت لصبي طويل الراس متحوي

متكفكف عن سموم القيظ بظلالي

وأنا على الهجن تومي بي مع الدوي

وجهي شوته الحرايب واشهب اللالي

وقوله: (شامت)، أي ارتحلت أو عافت، أو تبدل هواها وتغيرت وجهتها، وهكذا ومثلها قول ساجر الرفدي شيخ السلقا من عنزة عندما ارتحل عن نجد وقال أبياته الشهيرة:

يوم أنها نجد وأنا من سكنها

واليوم ما يسكن بها كل ممرور

شامت لعبدالله وأنا جزت عنها

اللي يصبح به على فجة النور

(انسمح بالي): أي طاب كيفي منها ولم تعد النفس ترغبها، وتستخدم بمعنى اعتدل مزاجي وطاب خاطري.

وكثيراً ما تستخدم هذه الكلمة أو هذا التعبير، وعكسها (أنشده بالي) ومنه قول محمد الأزيمع يرثي زوجته:

شان كيفي يا علي وأنشده بالي

يوم بن مرشود جاب الخبر ليه

آه وا ويـلاه مـن فجعـة الغـالي

كـان بـدلت الـنزك ثـوب شـاميه

(والمتحوي): الاحتواء أو التحوي إذا جلس الرجل وأقام ساقيه أمامه ثم أحاط بهما بيديه.

(متكفكف): إذا كان الرجل يجمع روحه في الظل، وكلما قصر الظل وضاقت مساحته قام بجمع أعضائه على بعضها لكي لا تمسها حرارة الشمس.

(والدوي): الدو هو الأرض الصحراوية الواسعة التي لا توجد فيها حياة ولا حركة من بني البشر.

(اللالي): هو السراب الذي يرتفع فوق الأرض ويشبه البخار، ويرتفع فوق الأرض عندما تنظر إلى أرض بعيدة في وهج الصيف.

وهذه الأبيات الغزلية تذكرنا بالأبيات التي قالها الفارس العاشق علي بن راشد الأكرف بمحبوبته وهي:

فاطري وارعي من القفر وابني لك سنام

وارتعـي ما دام خلي على رجلي قريب

ولا نـزح عـني تـراني شبكتك بالخطام

واصـبري قبلك صبرنا على فرقى الحبيب

وقد سألت أحد كبار السن المهتمين بحفظ التاريخ، وهو من إحدى القبائل المجاورة لقبيلة بني مرة وهي قبيلة الدواسر، لكي يذكر لي من يعرف أسمائهم من فرسان الضرفاس وشجعانهم، فذكر لي عدة فرسان وكان من بينهم كل من:

جابر وسعيد وجبهان الدجران وسعيد راشد الأسود وراشد الأكرف والقواشيط عيال سعيد القاشوط من آل وذين والفارس فهد بن غراب الأول وراشد العضيبة وعفير البحيحي وعلي بن غالي وتويم بن خصوان ومتعب المنخس وتركي بن بينة وسعيد الكروز وسعيد بن الحوير وعلي الأدهم وحمد بن غالي وحمد بن مسعود وفرسان آل قوز وحماده بن ملهية وظرفان وراشد (عتور) راعي حومة.

أقول: وقد بقي من فرسان الضرفاس مثل هذا العدد أيضاً مثل: حمد بن نورة والشيخ حسن بن مريزيق وغيرهم، مما يبرهن على قوة وشجاعة آل بحيح التي تتضح من خلال كثرة الفرسان في صفوفهم.

فهذا العدد من الفرسان الذين اشتهروا في عشيرة آل ضرفاس فقط فكيف يكون الوضع عند اجتماع فرسان البطون الستة من البحيح جميعاً.

(ك)- الفارس مرهي بن جارالله . .

كان من ضمن الذين دخلوا سجن الكوت الفارس مرهي بن جارالله النابتي وكان معه ابنه اليافع حمد الذي لم يبلغ الحلم، فنظر إليه وقال:

يا حمد ليتك على الحاكم تجرا

تاني للصوم كان إلي الشفاتي

جرو ذيب في مسابيه مضرا

ما بعد جو به غنادير البناتي

صكوا البيبان والحباس برا

ويتهوزني بمشعاب القناتي

وكل منهو لي ولد عم تبرا

يحسب أن من قد هوا بالكوت ما تي

ساهر بالليل لين الصبح طرا

واترجى اللي ورى الصعفوق يا تي

الفصل الثالث

قصائد متداخلة لشعراء آل مرة

توجد الكثير من القصائد المتداخلة لشعراء آل مرة مع غيرهم من الشعراء، وسوف نتناول بعضاً من نوعيات هذه القصائد التي تعبر عن المواقف المرتبطة بأبناء آل مرة ومن أهمها:

(١) ـ همزية الغيهبان والعامري والشويعر . .

طالما أننا تطرقنا لتداخل قصيدة ابن ريفه القحطاني مع قصيدة بن فريج النابتي فمن المناسب التطرق لقصائد شبيهة بتداخلها ولا تقل عنها أهمية ولا مكانة في نفوس جميع قبيلة آل مرة، وهي قصيدة الفارس والشاعر حمد الغيهبان.

حمد الغيهبان شاعر وفارس من الجابر وهو أكثر شخصيات قبيلة آل مرة شهرة في القبائل الأخرى بلا منازع، وعندما نريد تحديد فترة حياته بالضبط فسيكون قد عاش في الفترة ما بين ١١٥٠هـ إلى ١٢٠٠هـ وذلك لكونه الجد السابع للحي الآن من أحفاده وهذا يوافق هذه الفترة التي ذكرت وهي فترة ظهور الدعوة السلفية للإمام محمد بن عبدالوهاب، رحمه الله.

ومن ظن أنه قبل ذلك فهو وأهم لكونه اعتمد في ذلك على طريقة صياغة القصيدة وقافيتها، وظن أنها قريبة من عصر اللغة، العربية وهذا يبطله كونه الجد السابع لأحفاده الآن.

والقافية لم يكونوا ينطقون الهمزة فيها وهي لهجة البادية فمثلاً (عينائي) ينطقونها (عيناي) فتنقلب الهمزة إلى ياء وهي لهجة موجودة حتى في بادية الشمال، وليست حصراً على الجنوب.

فمثلاً الشاعر حميدان الشويعر الشهير الذي عاش في نجد وهو في نفس فترة الغيهبان تقريباً له قصيدة على هذا النحو وهي التي مطلعها:

لاح المـشيب وبـان في عرضـائي
ونعـيت مـن بعـد المـشيب صـبائي

ونعـيت خـلٍ كـان في ماضـي مـضى
لاحـت علـيـه بـوارح الجوزائـي

ولي حـرمةٍ جهـالـتـها كـبـيـره
تبـيـنـي اطـلـع مـن نقـى الدهنائـي

تـقـول حـط وقـط والا فـارق
مـا لي بـشوف الـشيبة الـشمطائي

الموسوعة الحرة في تاريخ وأدب قبائل آل مرة

وقد طال الحديث عن شخصية الغيهبان وصفاته، وزادوا عليه الكثير من الخرافات العامية والتي وصلت بالمبالغة لمرحلة جعلت منه شخصية خيالية كالتي نجدها في قصص ألف ليلة وليلة.

وهذه المبالغة ليست غريبة على رموز القبائل مثلما حدث مع راكان بن حثلين عند عوام العجمان، وعقاب العواجي عند عوام عنزة، وعبدالله بن رشيد عند عوام شمر وغيرهم.

ولكن هؤلاء تواريخهم مدونة أو أغلبها على عكس الغيهبان وهذا الذي جعل الروايات والأساطير عنه تكون أكثر من غيره وتبقى إلى الآن.

وإن الزيادة والمبالغة في بعض القصص والتي تخرج عن دائرة العقل والمنطق ستكون باطلة بالأصل قبل البحث. فكثيراً ما تجد قصة شجاعة وبطولة لبعض الفرسان وتكون من القصص الثابتة والتي يكون فيها من الفخر ما يكفي لصاحبها بالافتخار.

ولكننا نجد من يزيد ويبالغ في أحداث القصة حتى يخرجها عن نطاق العقل والمألوف فيكون ذلك سبباً في إدخال الشك في صدر من لم يطلع على أصل القصة الحقيقية.

فلو قيل إن هذا الفارس قابل عشرة فرسان لوحده أو عشرين

فارساً وهي شجاعة واضحة وليست مرفوضة في العقل. إلا أن العابث في الرواية يجعل عدد الخصوم مائة فارس بدلاً من عشرة وبذلك يخرجها شيئاً فشيئاً عن المعقول فيتسبب في إفسادها.

نعم قد يحدث ذلك نادراً إذا استطاع القناص أن يصل إلى مكان استراتيجي وهو ما يسمى (المترس) لكونه كالترس له يحميه من الرصاص فيستطيع إصابة الخصم دون إصابته هو، ولكن مثل ذلك لا يعتبر قوة في الشخص نفسه وإنما في المكان الذي جلس فيه وهو أمر يحدث كثيراً.

ولكن الكلام على من نزل للميدان وقام بمصاولة الفرسان وجهاً لوجه فلن يستطيع الفارس مواجهة أكثر من العشرين فارساً في الأغلب.

وتنطبق على ذلك مقولة الفقهاء والمحدثين: (النقل السليم لا يتعارض مع العقل السليم).

وهي صحيحة لكون المعجزات الكبيرة انتهت مع انتهاء زمن الأنبياء والرسل، وبذلك نقيس الرواية على أقصى ما يتحمله العقل البشري. وإذا وجدناها قد خرجت عن هذا النطاق فتكون على غير أساس ثابت في الصحة والنقل.

وهنا أقول: إن الغيهبان فارس شجاع بلا شك وشاعر حكيم

ومحنك وقصائده تشهد على ذلك ولكنه مثل غيره من فرسان جيله الذين اشتهروا مثل شهرته. فمثلاً سمعت من العوام من يؤكد أن الغيهبان قال هذه القصيدة وفعل هذا الفعل وكان عمره وقتها اثنا عشر عاماً.

وبالرغم من أنه يذكر في القصيدة أنه متزوج، وهذا يكفي للرد على من زعم ذلك، إلا أن مثل ذلك لا يدخل في حدود العقل السليم، لكون الأبيات والحكم فيها لا يفهمها إلاّ شخص قاسى الحياة وجربها، وشرب من حلوها ومرها. وطفل في الثانية عشرة من عمره من أين سيحصل على هذه التجارب الواقعية للحياة في عصره؟؟ بل وحتى البالغ من العمر عشرين عاماً لن يحصل على هذه المعلومات التي لا تجدها إلا مع كبار السن المجربين.

وقصيدته الشهيرة كنت أنا في شبابي مثل غيري من الرواة نعتقد أنه لا يوجد لها شبيهة بالقافية في عصور الشعر النبطي، ولذلك كلما سمعنا بيتاً على هذا النحو نضعه مع القصيدة.

إلا أنني وبعد أن كبرت وخالطت الرواة واطلعت على الوثائق والمخطوطات اكتشفت أن هناك قصيدتين غيرها وهي الثالثة. إحداها لأبي حمزة العامري والأخرى لحميدان الشويعر إلا أن الأخيرة لم تتداخل مع قصيدة الغيهبان لجهل الناس بها ولكونها لم تشتهر مع

عوام الناس. عكس قصيدة العامري فهي تداخلت معها وكثر القال والقيل.

وأكثر المشاكل تقع في القصائد عندما تكن على بحر وقافية واحدة وهنا يكثر الاختلاف في مجالس العوام في كون البيت هذا من قصيدة فلان أو فلان لاسيما أن تعاصر الشاعران وكان الموضوع متقارباً في القصيدتين، وهاتان هما من أصعب القصائد المتداخلة التي مرت علي في الأدب الشعبي وأكثرها تداخلاً، وهي أعتى الأمثلة قصيدة حمد الغيهبان الشهيرة:

قـال الـشبيبي والـذي لـه سـابق

مـن خـيل نـجـدٍ مهـرةٍ شـعوائي

ابـــرَها ولا بـعــــد ركبـــتَـها

الأنــهـــار ورودنــا الاطـوائـــي

كــودٍ عـلـى الـرجل الـقـصير يعنها

إلا يـعـرضــهـا شـبـه سـنـدائي

سمـيَت بالـرحـمن ثـم ركـبـتـها

بالـسيف هـو والجـوخة الحمرائـي

يــوم جـيت لاذي كـاعبي مـسلوبـه

تــذرف بدمعــة عيـنهـا النجلائـــي

بيــضا وخالطــة البـيـاض بحمــره

مـثل الـذهب في الفـضة البيـضائي

ثم قلـت يـا بيـضاء عليـك بـسترك

الــستر تحــت البيــضة النـصبائي

كانــي لحقــت الـبل ولا رديــتـها

فانــا رقــيد القيــنة الـشينـائي

لحقــت كــبير القـوم ثــم قـضعتـه

قـضع الجمـال الـسود في الظلمائي

ذبحــت مـنهم سـبعةٍ أو ثـمانــيه

ورديــت جـزلاهم علـى الهزلائـي

لعـيون مــن يزهــى الكحــل بعـيونه

ومــن غـير كحـل عـيـنها سودائي

يـا الـلــه يا لمطـلوب يا جـزل العطا

اللــي بـغــيب الكامتـين ادرائــي

اللـي إلى مـن قـال كـن كـان الحـيا

محيـي العـضات الـبايده بالمائـي

انـا بـليـت بـخـبرةٍ لـم يـخـلـقـوا

إلا لـسـبب شـقاوتي وعنائـي

إبلـيس والدنـيا ونـفـسي والهـوى

ويـن الـنجاة وكلـهن اعدائـي

إبلـيس يـوزي بي لـدرب مهونتـي

والـنفس تـوزي بي علـى البلوائـي

وهناك القصيدة الثانية التي جاءت على نفس القافية والوزن وتداخلت معها عند عوام الناس وقائلها هو: أبو حمزة شفيع من بني شبانة بن قديمة بن شبانة بن عامر بن عوف بن مالك بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

كما هو مدوّن في مخطوطة ابن شدقم والتي كتبها على راس الألف الهجري، وهذا يعني أن الشاعر كان قبل هذا التاريخ وأنه قبل فترة حمد الغيهبان بعدة قرون.

وتختلف عن أبيات الغيهبان لكون شاعرها قال عن نفسه فيها.

(أنا أبو حمزة من سلالة عامر)

وهذه الكنية غير معروفة للغيهبان وكذلك كونه من سلالة عامر أيضاً وهذا لا ينطبق عليه. وحتى من قال إن حمزة اسم سيف الغيهبان فكما تعلمون إن الرجل ما يضع السيف مكان الابن فيقول أنا أبو كذا ويذكر اسم السيف أبداً. قد يقول أنا راعي حمزة، أو صاحب حمزة مثلاً، ولكن لا يقول أنا أبو حمزة، ويقصد السيف. وقوله أيضاً:

قلـته وأنـا مـن راس غلـبا لا بـه

مـا هـم بقـصار البـتوع اشـوائي

واسم غلباء جرى في العرف النجدي إضافته لقبيلة سبيع، فيقال (سبيع غلبا) وكذلك يعتبر ضمن ألقاب قبيلة شمر مثل قول عايد الشراري قاصداً شمر:

غلـبا بطـاين جـوخها الأرجـواني

كـم شيـخ شـغميم غـزى يمـه وتـاب

وإن كان المقصود منها الغلبة والانتصار على الخصم دائماً وهذا من الممكن أن يطلق كثيراً على القبائل وهذا اللقب هو الذي

جعلني أميل لوجود قصيدة أخرى غير قصيدة الغيهبان، إلى أن وجدت الدليل على ذلك في مخطوطة ابن شدقم (الذي كان حيا ١٠٩٠هـ - ١٦٧٩م) وفيها تعريف كامل لشخصية أبو حمزة العامري وعصره وشعره، وهو نص نفيس واضح وقوي يدل على أن أبا حمزة قد مدح الأمير كبش بن الأمير أبي عامر منصور والذي تولى إمارة المدينة سنة ٧٢٥هـ - ١٣٢٥م وقيل ٧٢٧هـ - ١٣٢٧م وقتل في نهاية شهر رجب من عام ٧٢٩هـ-١٣٢٩م، وبذلك استطعنا تحديد فترة أبو حمزة بالضبط. في حين أن الغيهبان بعده بوقت كثير ربما يزيد على أربعة قرون من الزمن، ولم يكن حمد الغيهبان بهذا القدم البعيد كما هي حال أبي حمزة العامري. ويقول:

يا خلتي عوجوا بنا الأنضائي
نبصر بدار عذبة الجرعائي

دار عفت عن نزل ساكن حيها
اوزى بعيني ذكرها وابكائي

دار لموضية الجبين يا كنها
بدر يفاوج حندس الظلمائي

أو مشعل جنح الدجى من قابس
أو بارق يوضي من المنشائي

إذا تبسم عن ثمان(ن) ذبل
كاللولو المنثور للشرائي

يمين الضبيعي مع دعاثير الغضى
مقصد مغيب النجمة الجوزائي

أنا أبو حمزة من سلالة عامر
خيالها المشهور بالهيجائي

لم تلقني الا على يعبوبه
نوطى العنان مشبوحة العلبائي

اسري وبرد الليل ما حت الندى
وبساقتي ضواري تحدائي

متجند صافي الحديد الصارم
مثل البروق ينوض في يمنائي

أيضاً وحدباء في حزامي كنها
سم الأفاعي أو زعاف المائي

يا عم لا تبخل علي بقلهب
عدواننا كثير وحنا اشوائي

وأخوي يقول انك تشوف حليلتي

حاشا ولا لدتَ لها عينائي

يا عل عينٍ شافته تعطى العمى

ويا عل أذنٍ سمعته طرشائي

تكرم من الهرج الخبيث لحانا

وفروجنا تكرم من ألفحشائي

ترى الحرار عيالها ثلاثة

وترى الدجاج يكثر الاضنائي

انشد عني ناصر بن مقرب

راعي الغيان وراعي الصفرائي

يومٍ لحقته في المضيق فقال لي

يأمن وياسر ان بغيت جزائي

عدلت راس الرمح ثم ركزته

في راعي المجبوبة الحمرائي

أرجيك يا لمطلوب تفرق بيننا

قبل الممات وحزة الفرقائي

علماً أن البيت الذي فيه (الاطوائي) من قصيدة الغيهبان يقصد بها البئر الشهيرة بهذا الاسم وهي موجودة في الشمال وموجودة في الجنوب..

والعديد من الآبار تحمل هذا الاسم في الشمال والجنوب بل أن البعض يطلق هذا الاسم على كل بئر لكون الأطواء مأخوذ من الطوي وهو الحجارة التي تبنى على جوانب البئر من الداخل لكي لا ينهدم بسهولة.

وهناك من جمع القصيدتين جميعاً ونسبها لأحدهما كاملة وهذا غير صحيح لكون المتمعن بالأشعار القديمة يرى الفرق بينهما، سواء بسبب تكرر القوافي وهو أمر من النادر حدوثه، أو بسبب اختلاف الموضوع في القصيدتين كالتالي:

أ- الغيهبان استطاع اللحاق بالأعداء وذبح العديد منهم وإعادة إبله منهم وهو صلب موضوع القصيدة.

ب- أبو حمزة يتهمه أخوه بتهمة النظر والود مع زوجته ويدافع عن نفسه ويذكر مروءته وارتفاعه عن الخزي. وهنا نأتي إلى زبدة

الخلاف وسبب اشتهار هذه القصائد وهي الأبيات التي تقول:

أنا بليت بخبرةٍ لم يخلقوا

إلا لسبب شقاوتي وعنائي

إبليس والدنيا ونفسي والهوى

وين النجاة وكلهن اعدائي

إبليس يوزي بي لدرب مهونتي

والنفس توزي بي على البلوائي

فهذه الثلاثة أبيات اشتهرت مع الناس كالنار في الهشيم وأصبحت مثالاً يستدل به، حتى الخطباء في المساجد، وهي مدار الخلاف بين قبيلة آل مرة وقبيلة العوامر المتواجدة بكثرة في الإمارات العربية وأطراف الربع الخالي جنوب شرق الجزيرة العربية.

ولو نظر ودقق المنصف جيداً في معاني هذه الأبيات وتوافقها من ناحية الموضوع فأي القصائد ستكون الأقرب من ناحية الموضوع لهذه الأبيات الثلاثة؟ وأما القصيدة الثالثة التي قالها حميدان الشويعر. قالها في أمير الحصون بسدير عثمان بن نحيط وهي لم تتداخل مع القصيدتين لعدم اشتهارها أولاً ولكون موضوعها يختلف اختلافاً جذرياً عن القصيدتين الأخريين ولذلك لا يوجد أي مشكلة

من وجود قصيدة الشويعر، وإنما أذكرها هنا للفائدة العامة.

والشويعر هو حميدان الشويعر واسمه الصحيح "حمد بن ناصر السياري الخالدي" من الدعوم شاعر سليط وجريئ وقوي لقب بحطئية نجد، عاش في بداية القرن الثاني عشر ببلدته "القصب" قيل إنه عمر وتوفي في أواخر القرن الثاني عشر. وقصيدته هي:

لاح المشيب وبان في عرضائي

ونعيت من بعد المشيب صبائي

ونعيت خل كان في ماضي مضى

لاحت عليه بوارح الجوزائي

ولي حرمةٍ جهالته كبيرة

تبيني ارحل من نقى الدهنائي

تقول حط وقط والا فارق

ما لي بشوف الشيبة الشمطائي

قلت أيها الشوق الذي من قبل ذا

مهوب شره يوم عصر اصبائي

واليوم خالفت الطبوع وضرني

منك الكلام وزادت البغضائي

هو ذا طمع دنيا فهاك دراهم

وان كان بغض ما لقيت الدائي

ذي عادتي حب المحب وعاده

ما قط ارافق صاحب السرائي

وان كان تبغين قط همات الصبا

تراي عنها قد طويت رشائي

وان كان هو بغض وصيدك طامح

فخذي ثلاثٍ واضربي البيدائي

قلت دنانيري وعدت بهمه

جذت حبالي عن جمام المائي

العام أنا لي كدة ما شومه

هبت عليها البارح اليمنائي

وركبت من عالي النشيد بكاعب

غراء شبيه السابق الصفرائي

حيرانة الدملوج غامضة الحشا

ما مسها خبث ولا سقوائي

مصرية الأطراف ناعمة الصبا

قامت بردف كنها عجزائي

هركولة يا ما أتلفت من جاهل

حقت على ديرانها الأنوائي

سكنت قصور الوشم شرقي النقا

ما لاوزت من بارح الجوزائي

وأنذرتها عن شيخ قوم ناقص

ترثة حضور شذ من حوائي

ما شاخ جده قبل أبوه ولا لهم

حق ولا عدوا من القدمائي

وحميدان الشويعر لا يترك الطرافة بالشعر حتى لو كان جاداً في موضوع قصيدته، وهو هنا يقول: خوذي الثلاث واضربي البيدائي..

ويقصد ثلاث الطلاق، وقوله اضربي البيدائي، فيها طرد لها وإهانة، ولكنه قالها بطريقة فكاهية كعادته في شعره.

وفي خلاصة ما بحثت في التفريق بين القصيدتين أقول لمن لا يزال يرفض الاعتراف بوجود وحقيقة أبي حمزة: طالما أنه ثبت وجود أبي حمزة ثبوتاً قطعياً بالوثائق التاريخية فلا يستطيع المنصف تجاهله لمجرد تأويل بعيد. هذا ما لدي في هذه النقطة، والله أعلم.

ومن القصائد النادرة لحمد الغيهبان قوله:

لا جاك من بن عمك أول زله

احذر من الزلاّت واحذر تجهلي

ولا جاك من بن عمك ثاني زله

عرضه على العقّال كانه يعقلي

ولا جاك من بن عمك ثالث زله

ابعد ضعونك عن ضعونه وارحلي

ولا جاك من بن عمك رابع زله

حده على حد الحديد المصقلي

الحوض لا منه كشف مغطاته

كلٍ على جال القليب بيدهلي

وهذه الأبيات تدل على حكمة الغيهبان وأنه بعيد النظر غير مستعجل في اتخاذ القرار، فهو يضع لك كيف تتعامل مع الشخص القريب إذا ظهر منه الشر تجاهك وجعل لك أربع اختيارات وهي: الصبر عليه، أن تخبر أحد أقاربه من أهل العقل لكي ينصحه، حاول الابتعاد عنه إن كانت لديك استطاعة، استخدام القوة ضده وهي الحل الأخير لمثله.

ثم برر ذلك بقوله: إن الحوض الذي فيه ماء إذا لم تتم تغطيته فكل بعير وكل شاة سوف تشرب منه دون إذن صاحبه، وهذه إهانة له. وقوله في البيت الأخير يشبه قول سميحان الوبير:

الدار مثل البنت يكشف مغطاه

لا صار ما تدرى عواقب رجاله

(٢) - قصائد ابن شريم وابن فريج والهويملي وابن عضيبة والقرقاح:

اشتهرت القصيدة الرائية للشاعر سليمان بن ناصر بن سليمان بن ناصر آل شريم، وهو من أشهر شعراء القرن المنصرم، وقد ولد عام ١٣٠٠هـ الموافق ١٨٨٣م وقد توفي في بريدة عام ١٣٦٣هـ-١٩٤٤م وكذا وردت سلسلة نسب الشاعر في شجرة أسرة (آل شريم) أهل شقراء والسر، وقصيدته هي:

سرى البارق اللي له زمانين ماسرى

صدوق المخايل بارقه يجذب الساري

على فرعة الوادي وسيله تحدّرا

وغنّت طيور الما على الحاير الجاري

مرابي غزال عقب عرفه تنكّرا

عليه الله أكبر كل ما حلّ به طاري

برى الجرح منه ومني الجرح ما برى

وهو يحسب أنه يوم طال المدى باري

نطحني بجزّ الثوب حدر المشجّرا

جميل المحاسن لا ضخيمٍ ولا عاري

أبو لبّةٍ مثل القمر ضاح واسفرا

وإلى غابت القمرا تقدّى به السّاري

ترى سلبة العاتق إلى صدّ ما درى

كما سلبة العرجون في صفحة الذاري

صويب الهوى مسكين مشيه على ورا

ترى النقص فيه وحيله أقوى من الضاري

وهذه القصيدة هي أشهر قصائد سليمان بن شريم المنتشرة مع الناس لكونها تغنى بالسامري أثناء الحفلات والأعراس، لكنها تداخلت مع قصيدة ابن فريج النابتي من البحيح من قبيلة آل مرة الذي قال فيها:

لو القلب له بالسوق بيعٍ ومشترى

جلبته لسوق البيع لا جاني الشاري

يعيي يجي درب المدارس ولا قرى

وعند الغواني يجذبه كل زماري

عسى البارق اللي يشبر القاع بالثرى

على ديرتي لا جاء لبرقه تسعماري

على قاعنا قامت قنوفه تزبرى

لها بالليالي للمخايل تنواري

مداهيل غزلان عزيزين وقصرا

ويا ليت منهو صوبهم يقبض الذاري

على آخر موديل من حمولاتها عرى

جموس تذب العرق وتبوجه اجباري

علـيهـن عــيـال غـشـمـريـين وشعرا

إلى طـال مـسرى اللـيل زادوا تغشماري

وجـــودي عـلـيهم عــد ما طـــاري طرى

وجـودي علـيهم كل ما انويت الاسفاري

وفارق الألفاظ والمفردات واضحة وضوح الشمس بين الاثنين لكون كلمات النابتي مرية قحة جداً في حين أن كلمات ابن شريم نجدية تميل للشمال نوعاً ما والسامع الواعي لن تتداخل عليه القصيدتان بسبب وضوح الفرق بينهما.

والقصيدة الثالثة على هذا البحر وهذه القافية لشاعر قوي من شعراء قبيلة الدواسر، وهو الهويملي الذي وصف بها العايدي من الشاحنات، فقال:

ونـيني ونـين اللـي مـن أم الوهط سرى

تعـرّض خطـوطٍ بـاني فـوقها الـذّاري

وقـف مـا يجـر الـويل قـدمٍ ولا ورى

عليه الحـمـولـه زايـده والـولد ناري

عنـيدٍ على تـنـزيـلـة الـصّاج مـا ظرى

يقـول اجـبره والعايـدي يطلع اجباري

وغـدى لـه ونين ودركل السّوم وانفرى

وراح أجـبع الغلـيون مـع شقّته ساري

ألاحي حـلال القـوم باللـي علي جرى

وقدني على لوعات جرح الهوى ظاري

علـق بي صـوابٍ لا ذبحـني ولا بـرى

من الجادل اللي صار عوقي وهو داري

مراحـي من اجله والتّذري ورى الذّرى

أبي مـا يجي للشّك عند العرب طاري

تـرى الـراي يا عين اشقر الراي ما ترى

مـع زيـن طـبعك واثـق فـيك بالـباري

طـراة الولايــف دام محـدٍ بهـم درى

ولا يطّلــع بالأمــر عمّــي ولا قــاري

إلا مـن درى بـه مـن درى ردّوا الـبرى

زحـولٍ حـزابتهم بـلا جـيك وسواري

غـدوا وأبعـدوا بعـد الثّـريّا عـن الثّرى

عفت الأرض عنهم لا عيونٍ ولا أثاري

تـصبّر ولاحـى اللي من أم الوهط سرى

تـبين الاشـاره والـسّرى يتـبع الـسّاري

وهذه الأبيات جيدة التصوير وصياغتها متينة وروايتها ثابتة وليس فيها أخطاء ولا كسور وهي لا تتداخل مع قصيدة ابن شريم، وإنما تداخلها مع قصيدة المري هو الذي يحدث كثيراً لدى بعض الرواة بسبب تقارب المفردات ومعاني الكلمات بين الشاعرين لكونهما من قبيلتين متجاورتين.

وعلى نفس القافية والطاروق قصيدة الشيخ الدكتور علي بن صالح بن عضيبة والذي يتذكر الجميع ذلك المهرجان الكبير الذي أقامه لمزايين الإبل عام ٢٠٠٦م، وتكفل به من أجل قبيلته وإحياء تراثها ومجدها القديم ليذكر الأبناء بمفاخر الآباء والأجداد، فكان مهرجاناً رائعاً لا ينسى وسيبقى في ذاكرة التاريخ محفوظاً لعلم من أعلام قبيلة آل مرة ووجهائها. وقد قال في قصيدته:

سـرى اللـيل والـساري مـع الليل ما درا

على اللي سناها فالدجى يجذب الساري

ويـا حـن قلـبي حـن سـقس إلـيا فـرا

عناكـيب شنـصوب علـيها بـنى الـذاري

علـى أبـو جـديلا فـوق متـنه تنثـرا

مـثل ذيـل صـفرن عنها الفارس الضاري

وعيـنه كمـا عـين أشـقرا رب وأنكـرا

قـرناس الهـوى لـتل سبقه مـن الشاري

علـيها سـهرت الليل مـا ذقت انا الكرا

ثمـان إسـنوات إسـهر اللـيل قمـاري

ضـربني بـرمح دار حـوله ولا بـرا

تجـدد إجـروحه كـل مـا جالهـا طـاري

وجاراه الشاعر الكبير فلاح القرقاح حفيد الشاعر الشهير فراج القرقاح عندما أخبره أحد الأخوة بقصيدة الدكتور ابن عضيبة فقال:

يـا أبـو قايـل انـا شـاعر وغـيري شـعرا

ولاني بفاخـر بالقـصايد ولا آمـاري

لن الحكي لوتصبح به الحايل عشرا

لا يحيا به الميت ولا يستر العاري

ديوان العرب من كثر ما يسمع ويرا

ويفرض مثل تجنيد الافراد الاجباري

كنه شيخ قوم جلع مرحانه إجهرا

شان الزين وانذل العزيز ومن يثاري

عثوا به نشاط عندهم وجد وفقرا

ولا للمصاب إلا الصبر لا جرا الجاري

وعزف عنه روس رجال وشيوخ وومرا

ردى منهج الكاتب محى رغبه القاري

احسب إن معاد إن له ظلال ولا ذرا

ولا ادري من آتابع ولا ادري من اجاري

لين الوادي إلي من قريحه علي جرا

قال لهاجسي عجل خذ القوس ياأري

شعاني ورد الذاكره كم سنه ورا

وحرك شعور كان غافي ومتواري

ابن عظيبه أثقل من طميه ومن كرا

وعزالله العزيز أن حربته حدها فاري

وسليمان بن شريم هو صاحب القصيدة الشهيرة في نجد ومنها:

هبي بريحه يا هبوب الشمالي

كود الجنوب ومطلع الشمس تنصاه

عبث صبيت لعشرته من صبالي

سجلي بنجله والموده مجازاه

يا ما ويا ما فرقتنا الليالي

نجع قديم وفرق البعد لاماه

أقفت مراحيله وانا أقفت رحالي

خليت مداهيله وعميت ركاياه

وخان الزمان بعشرته والتوالي

ورّثت من يصفق شماله بيمناه

(٣) - قصيدة عيضة النفيعي ليست لابن ثانية . .

سمعت عدة مرات من ينسب قصيدة الشاعر عيضة النفيعي العتيبي الغزلية الشهيرة ويزعم أنها للشاعر محمد بن ثانية الجربوعي من قبيلة آل مرة، وأعتقد أن هذه النسبة بعيدة جداً لكون القصيدة اشتهرت بسبب شهرة صاحبها، والذي يعتبر أحد أشهر ضحايا العشق الذين قتلهم عشقهم عندما بلغوا مرحلة اليأس من الحصول على محبوبته، وجرى تزويجها لابن عمها على العادات القبلية القديمة والتي تحكم بكون البنت لابن عمها غصباً عنها. والقصيدة هي:

سقى الله سنيات مضت عادني بزر

وأنا جاهل مدري عن العشق وش لونه

ويا فوح صدري فوح قدر إلى طفر

تعدى الحدود وسجوا إللي يصالونه

أنا دمع عيني كل مأهل من شهر

هماليل وأغضي من هلي لا يشوفونه

ومر يجي دمع ومر دم حمر

كما كوكب عد هل المال يردونه

ألا يأهل المجمول ما عاد في صبر

وذي بندقي في ما تقولون مرهونه

أبو لبة بيضى وطوق على النحر

ويا مهبلك يا عاذل القلب من دونه

يا شيخ ما تسمع ونيني مع الفجر

يشادي موسيقى كل عصر يجرونه

أنا حالف ما أنساك يا راعي الزقر

إلين أن قبري بين حيدين يبنونه

ألا واهني اللي إلى من بلي صبر

صبور على الوجلا وفيراق مضنونه

ويا ونتي ونة مريض به الخطر

توعى بطلع الحبل فوقه يقيسونه

ولا يمحي حب عليه اللحم جبر

سطى في العظام وصافي الجلد من دونه

وهي قصيدة مشتهرة جداً لكون قائلها أحد ضحايا العشق العشرين الشهيرين والذين قتلهم الحب والحرمان عندما اجتمعا، وأشهرهم وهو من نفس قبيلة عتيبة أيضاً وهو دخيل الله الدجيما صاحب القصيدة الشهيرة التي يعرفها الصغير والكبير وهي:

يـا جـر قلبـي جـر لـدن الغصـون

وغـصون سـدرٍ جـرها الـسيل جـرّا

وأهلـه مـن أول بالـورق يـورقوني

على غـديـر تـحـتـه الماي يـرّا

عـلى الـذي مشـيـه تخطـي بهـون

وعـصير مـن بيـن الفريـقين مرا

والضحية الثالثة بعد النفيعي والدجيما هو عبدالرحمن المطوع، وقيل: عبدالرحيم المطوع من بني تميم الذي مات في نقى المطوع وسمي باسمه عندما حمله أهله غصباً عن محبوبته التي تزوجها سراً، وكانت أقل منه في النسب، فقال قبل موته قصيدة مطلعها:

يقـول التميمـي الـذي شـب متـرف

مـدا العمـر مـا شـا في زمانـه جـاه

يـا راكـب ياللـي مـن عقـيل تقللـوا

مـن نجـد إلى الـريف المـريف مـداه

حـدروا بـنا مـن جـو عكـل وقوضـوا

علـى كـل هـباع يمـد خطـاه

علاكـم تجـد الـسير لكـن وصـفها

علـى قطعـة البـيدا وكثـر اسـراه

واختمهم برابعهم القتيل المحروم إبراهيم الكنعاني والذي عشق بنت عمه (شريفة) وتزوجها وعاشوا بسعادة الحب ولم يمضِ سوى سبعة أشهر حيث أصيبت بمرض الجدري المميت، والذي لم يكن له علاج، وعندما بدأ العد التنازلي لوفاتها صدح بقصيدته المشهورة والتي تملاها الأحزان المختلط بدموع الأسى والوجد وهي:

يـا حمـامٍ علـى الـغابـه ينوحـي

سـاجعن بالطـرب لا واهنـيه

قلـت حـيه ولا كـنه بيوحـي

مـر عجلـن ولا سـلم علـيه

روحي روحي بغت روحي تروحي

يوم قيل الغضي بان جدريه

كن في ضامري قدر(ن) يفوحي

أو غروب(ن) توامى في ركيه

يا شريفه متى ودك نروحي

يم ديرة هلك يا لعسوجيه

قالت اصبر يطيبن الجروحي

شهر واحد وهاتو لي مطيه

جعل زمل(ن) يبي خلي يروحي

ينكسر في شعيب الصالحيه

أبيات مليئة بالوجد الصادق الحزين فجاءت صادقة وعاشت على مرور الزمن بالرغم من بساطتها في حين أن هناك ما هو أقوى منها شعراً لكنها اندثرت لأنها لم تكن صادقة ولم تشعر بصدق الوجد في طيات كلماتها...

(٤)- قصيدة ابن ريفة القحطاني وابن فريجان المري :

لقد اتضح لي بعد مدة طويلة من البحث والتقصي من الرواة الثقات ودراسة القصيدة الشهيرة للشاعر ابن ريفة القرقاح القحطاني دراسةً جيدةً وتشاورت مع العديد من رواة وأدباء القبائل العربية في الجزيرة أن الأبيات في وصف البندقية ومهارة الصيد والتي تروى ضمن قصيدة بن ريفة لتشابهها في القافية والبحر بينما هي للشاعر ابن فريجان النابتي المري وأنها مستقلة عن الأبيات التي بها وصف الذلول الحمراء للشاعر ابن ريفه القرقاح وسوف اشرح ذلك مفصلاً. وعند فصل القصيدتين عن بعضهما تكون قصيدة النابتي هي:

حي الطويله تحية غايب غالي

عدة نجوم تهاوى في مغايبها

الله يرحمك يا عود شراها لي

من واحد جابها للسوق جالبها

حديدها واذكر الله كنه ريالي

كن الحيايا تطوا فوق عاقبها

بنتٍ غراها زباد في ايد دلالي

وإلا طموح هواها من يلاعبها

أعط الطويلة عريب الجد والخالي

وإلا الردي لا تخلونه يزول ابها

اقف بها بين ربعي وامنع التالي

لعيون سوداء تماري في نجايبها

محلا ترنافها بالمشبر الخالي

تلقى بها الحيد والحدباء ترن ابها

كم راس تيس وقع من مرقب عالي

وكم جملة فرقتها من ربايبها

وليا لفونا من المقناص زعالي

أحد مدح بندقة واحد يعذربها

بشرتهم بالعشا من عقب مقيالي

والقايدة مع مرد الكوع ضاربها

ذبحت عشرة بها والظل ما مالي

والحاديه روحت تثلغ مضاربها

وأما قصيدة الشاعر (ابن ريفة) فراج بن مسفر القرقاح القحطاني والذي كان قد نزح عن قبيلته بعد أن قتل أحدهم وأقام مع قبيلة سبيع عشر سنوات وأرسلها للشيخ ابن شفلوت ليتدخل في إنهاء معاناته وفك مشكلته، فهي أبيات حربية وليست أبيات لهو وفرح فقال:

قال ابن ريفة بدى في المرقب العالي

واعلى المراقيب تومي به هبايبها

يامرقبي جاك ماء الهطال همالي

انصوب مزن من المنشا يهل ابها

ما يدهله كود صافي الريش لا مالي

وإلا الولع يوم يفتك في غلايبها

انا ولد طارفه ما نيب كسالي

أخاف من خبرة باحت مذاهبها

عليك يا مرقب جيته وأنا سالي

هيضني الرجم لديارٍ ربيت أبها

هيض عليه شدوق الثفن لا سالي

عطفة (طريب) ليا زافت جوانبها

لا من غدا الفيض كنه زرع عمالي

سيله من القدم للبطنان ناهبها

كم مرة قد نزلنا عشبه المالي

وبيوتنا لاوزا المجرم يلوذ بها

ننزله ببيوت عراف وجهالي

وإن جاء النذر من حفيفٍ ما نزهبها

ربعي عبيدة الياجا هوش وقتالي

هل هية باللقى تشعا كسايبها

أنشد عبيده هل الطولات عن حالي

والا الاجانيب يوم انا نقاربها

منهو يقلط على فرش وفنجالي

سعد ابن عمه لياجاته مكاربها؟!

وأنا من الخبرة اللي شورهم عالي

وأهل البخالات بأمر الله مجنبها

عسى هل الشين ما يبقى لهم والي

وأهل سلوك الردى يا رب تذهبها

واللي رفيع وللشوفات حمالي

ارفع نواصي حجاجه لا تقطبها

لا من غدا بين نقاض وفتالي

وصف الأجانيب واشتدت طلايبها

والضيق يلفح طرايقهم على الجالي

لفح الدلي للمعدي يوم يجذبها

ياركب ميمونةٍ في مشيها ارمالي

ما يشتحن من هل العيرات راكبها

بالحال تسري على حمرا هو بالي

لا روح الجيش طفاح جنايبها

لا روح الجيش حاديه أشهب اللالي

لا هي تورد وسيع صدر راكبها

اللي على كورها واللي بالاحبالي

واللي على عيزها واللي بغاربها

تزهي السفايف وتزهي الخرج وحبالي

ومجرب لا سرى في الليل صالبها

لا روحت مع سباريت الخلا الخالي

كن الذيابه تنهش من ترايبها

لديار من يلبسون الجوخ والشالي

ربعي ودرعي وضد اللي يحاربها

ملفاك شيخ القبيلة حامي التالي

عند ابن شفلوت يا لمنجوب قربها

هو مزبن اللي نصاه وحده الجالي

والكايده عادته يطلق نشايبها

قل له علي طالت المدة وأنا جالي

عشرة عوامٍ بدار الغرب حاسبها

فان كان ربعي نسوني مانيب غالي

باعيش في ديرة قفرا جوانبها

في أيدي قرار تكف الجمع لا نهالي

طويلةٍ ناحل مقضب خشايبها

بنادقٍ ما صنعها الصانع التالي

من دقة المارت نحال مقاضبها

شريتها بالثمن يوم ارخص المالي

إميه وعشرين ما قرش يغايبها

اضرب بها الوعل لا جاد له تهنفا لي

أبو حنية كبير الراس شايبها

وارجي من الله عسى الأيام تهنا لي

وفي تالي الوقت تصفا لي مشاربها

تمت وصلوا عدد مأهل همالي

على نبي شروع الحق رتبها

اغفر ذنوب الفتى يالله يا والي

لا جيت في حفرةٍ رزوا نصايبها

وقولي هذا بلا شك إنه سيثير الاهتمام وربما الاحتجاج من البعض لكون الناس لا يعرفون سوى ابن ريفة القحطاني الشهير، وأن القصيدة بكاملها له ولا يوجد سابقاً أي ذكر لقصيدة أخرى قد تكون تداخلت معها مثلاً..

والحقيقة أن وقوع مثل ذلك يعتبر أمراً شائعاً ومعروفاً في عدة قصائد شهيرة بين الناس.

وأنا منذ وقت طويل وأنا أسمع من الرواة لاسيما الموثوقين في الشمال، ومن بينهم الجد الراوي والشاعر فهد بن حمد الغسلان الذي كان يقول: إن قصيدة القرقاح متداخلة مع قصيدة أخرى لشاعر من قبيلة آل مرة..

وأنا أجزم بوجود قصيدة قد تداخلت معها. ولو كان لدي شك في شيء فسيكون الشك عندي في هوية الشاعر ومن أي قبيلة؟ أما موضوع وجود التداخل فهو أمر لا أشك فيه إطلاقاً. ويكفي على

هذا الجزم قول الرواة الثقات أولاً والخبرة بالشعر القديم وطريقة نظمه ثانياً. فالقصائد التراثية لها موضوع وهدف وعليها صبغة شاعرها ولهجته ومفردات كلام قبيلته التي تختلف عن غيره.

إن لكل جيل من الشعراء طريقته التي تختص به دون غيره من الأجيال الأخرى في نظم الشعر فلكل جيل مصطلحاته ومنهجه وجزالته التي تميزه عن غيره ولذلك فكثيراً ما تتضح الزيادة والعبث في القصائد بسبب إدخال مصطلحات لغوية لم تكن مستخدمة في تلك الفترة لدى الناس وإنما ظهرت لاحقاً، وكذلك فالشعراء قديماً كانوا أجزل في شعرهم عن جيلنا اليوم، ولم تكن لديهم ركاكة في اللفظ والنطق للشعر، فمثلاً عندما نسمع أبياتاً فيها مصطلح (مالك كرت) أو (تراك تعديت القوانين) وأمثالها فمن المؤكد أن مثل هذه المصطلحات لم تظهر إلا مؤخراً، مما يدل على العبث بالقصيدة أو عدم ضبط الرواة لها...

وهنا نبدأ في إلقاء نظرة أدبية سريعة ومتفحصة لقصيدة كل شاعر منهما والأسباب التي دفعت الشاعر لنظمها، إن وجدت، لأن ذلك سيساعد على توضيح الأمر بصورة أوضح أمام القارئ ليستطيع من خلال ذلك الحكم بنفسه حسب ما يظهر له من الأدلة والقرائن فنقول:

ابن ريفة وهو فراج بن ناصر بن مسفر من القراقحة من قبيلة

قحطان كان جالياً عشر سنوات عن قبيلته وملتحقاً بقبيلة سبيع في نواحي رماح، وعندما ضاق من غربته التي طالت أرسل قصيدته هذه إلى الشيخ ابن شفلوت لكي يتدخل بثقله في حسم هذا الموضوع. فالقصيدة تعتبر حربية وثورية وليست قصيدة فسحة وسعادة وأنس.

وفي أثنائها امتدح شجاعة شيخهم وقبيلتهم وعاداتها وتقاليدها الكريمة وقال:

إن كنت لست غالياً عندكم الآن كما كان في السابق فسوف أعيش وحيداً بالقفار، ولن أخشى أحداً لكوني أملك باروداً رائعة وأنا متخصص في القناصة سواء للأعداء أو للصيد.

وهو بذلك أشار إشارة بسيطة للبارود، ولكنها لم تكن هي هدف قصيدته ولا صلب الموضوع فيها، وذلك لكون الهدف كما سبق أن وضحته.

وإذا جمعنا القصيدتين ستجد أن أبياته في وصف ذلوله وبندقيته وجودته في قنص الظباء أصبحت أكثر من الأبيات التي يخاطب بها الشيخ ابن شفلوت مع أن استنهاض عزيمة الشيخ كانت هي الأساس والهدف من نظم القصيدة أصلاً.

فهل يعقل أن يوجه خمسة أبيات فقط لهدف القصيدة وينظم بعدها خمسة عشر بيتاً كلها في وصف الإبل ومدح البندقية ومدح إجادته للقنص وهي مواضيع خارجه عن هدف القصيدة ؟؟

فالذلول لا بأس في وصفها لكونها جرت العادة لدى الشعراء سابقاً أن يرسل الشاعر مرسولاً على مركوبة من نجائب الإبل لكي يوصل القصيدة ورسالتها إلى منتهاها.

وأما الاسترسال في وصف البندقية والقنص والتوسع في ذلك بعيداً عن هدف القصيدة ودوافع نظمها فهو أمر غير وارد أو ضعيف الورود..

وكذلك مفردات الشاعر التي استخدمها في نظم قصيدته سيكون لها دور كبير في حسم هذا التداخل. وكذلك يظهر للعيان بوضوح تكرر القوافي في القصيدة بشكل أكثر من المعقول وهو أمر نستدل به دائماً على كونها قصيدتين وقد تم دمجهما ببعضهما جهلاً من الرواة. وبذلك تكون أبيات ابن ريفة القرقاح التي ذكر فيها البندقية وأوصافها هي قوله:

في أيدي قرار تكـف الجمـع لا نهالـي

طـويلـةٍ ناحـل مقـضب خـشايـبـهـا

بـنـــادقٍ ما صنعـــهـا الصانـع التالـي

مـن دقـــة المـارت نحـال مقاضبهـا

شـريتها بالـثـمن يـوم ارخـص المالـي

إمـيـه وعـشريـن مـــا قــرش يغايـبـهـا

اضـرب بهـا الـوعل لاجاد لـه تهنفالـي

أبـــو حنـيـة كبيـــر الـــراس شـايبـها

وقبيلتي قحطان وآل مرة لم ولن يتوقف مجدهما عند هذه الأبيات، ولن تنقص من مجد قبيلة قحطان ولن تزيد من فخر قبيلة آل مرة، وإنما نحن وضعنا أنفسنا في هذا المجال الذي له في قلوب الجميع قيمة ومكانة ألا وهو تراث الأباء والأجداد والأدب والتاريخ في قبائل الجزيرة العربية. ولذلك يكون على الراوي أن يقول ما يصل إليه ويثق بصحته وثبوته بعد دراسة ومشاورات مع أهل التخصص في مثل هذه الاختلافات.

الفصل الرابع

نزهة شعرية في رياض قبيلة آل مرة

هنا سوف نسير في نزهة عبر رياض الشعر النبطي والأدب العربي بشكل عام في البلاد العربية، وبالخصوص قبيلة آل مرة، وسنجعلها استراحة بعد تعب الأحداث التاريخية لكي ترتاح في رياضها النفوس، فبلا شك أن هناك أحداثاً ومواقف لم تشتهر بين الناس بالرغم من روعتها وقوتها لعدم وجود أشعار قيلت في تلك الحوادث وتكون إثباتاً قوياً وشاهداً على صحة تلك المواقف. أو إنها قيلت وضاعت من ذاكرة الرواة والحفاظ في القبيلة لعدم الاهتمام بها في تلك الفترة، ولانشغال الناس في همومهم المعيشية القاسية. في حين أنها اشتهرت أحداث هي أقل قوة من تلك، وذلك بسبب وجود الأشعار، فالشاعر يخلد ذكره وذكر قبيلته ويرفع من مقامها. ومثله الراوي البليغ الفصيح الذي يكون كلامه مقبولاً ومحبوباً لدى الناس فبلا شك أنه سينشر تاريخ قبيلته ومنطقته وجماعته كثيراً بين الناس مستغلاً هذه البلاغة والفصاحة التي وهبه الله وأنعم عليه بها.

لا سيما أن رزقه الله الاعتدال في الحكم، لكون الراوي والمؤرخ إذا ظهر ميله وتعصبه لجهة دون أخرى فسترفضه الناس

وتترك كلامه. ولن يكون مؤثراً في كلامه ولن ينفع قبيلته، بل بالعكس ربما يكرهها الناس بسببه. فكم عندي من الروايات الموثقة والتي ليس فيها أشعار قيلت في وقتها لتكون شاهداً لها ولذلك أصبحت فائدتها قليلة اللهم إلا بالاستشهاد الجانبي.

وقد ضاع الكثير من الأشعار التاريخية لقبائل الجنوب في الجزيرة العربية أكثر من الشمال الذين اهتموا بهذا المجال مستفيدين من قربهم من بلاد العراق والشام التي كان التعليم فيها مزدهراً. في حين أن قبيلة بني مرة لم تأخذ نصيبها التي تستحقه في الظهور والانتشار الإعلامي لتاريخها وشعرها وبطولاتها. ولكن ضياع الكثير من الموروث الشعبي كان بسبب غياب التدوين والكتابة وعدم قربهم من مناطق التعليم وبسبب فقدان الراوي الحافظ المهتم والذي يعتبر أهم من الشاعر، لكون الرواة هم الذين يتداولون الأشعار ويحفظونها ويوصلونها للجيل الذي بعدهم وهكذا.

فأحياناً يوجد الشاعر ولكن يغيب الراوي القوي والعكس صحيح، وإذا اجتمع الاثنان وصلت القبيلة للهدف المنشود.

وأقدم قصيدة لشعراء قبيلة آل مرة حفظها الرواة أو بعضهم مثل الراوي محمد بن هيازع الهاجري الذي رواها للراوي طالب بن حمد النابتي وهي أبيات للفارس محمد البحيح والد عشيرة البحيح

الشهيرة من عشائر آل مرة. وذلك لكونه رحل عن جماعته غاضباً أو جالياً أو ما شابه، واتجه إلى قبيلة الهواجر عندما كانوا جميعاً في جنوب الجزيرة العربية وعلى أطراف نجران وما حولها. وهناك تزوج من امرأة هاجرية مطلقة واسمها كلثم بنت كليب الهاجري والتي كان لها ولدان من زوج غيره هما علي وكليب. ثم إنه طلقها وهي حامل ورجع إلى قبيلته وأوصاها قبل رحيله قائلاً:

كلثم انا باوصيك مني وصيه
يا بنت كليب اللي عزيز الجار

لا تاخذين اللي قد اقفى شبابه
يموت وعيالك عليه صغار

ولا تاخذين قنٍ علشان ماله
مالك على مال القموح قدار

وبعد رحيله أنجبت طفلها منه وأسمته (نابت) الذي عاش بداية طفولته مع الهواجر ثم رحل إلى أهله آل مرة عندما بلغ سن الإدراك وهو والد فخذ النابت في قبيلة آل مرة.

وأولادها الاثنين وهم أخوة نابت البحيح من الأم أحدهما والد

فخذ آل علي بن منصور (مزبنة المجرم) وكليب والد فخذ (ال كلبه) الشهيرين في قبيلة الهواجر. ولهم مع النابت قرابة رحم كما ذكرت لكم.. ونظراً لقدم تلك الفترة التي عاش فيها محمد البحيح لذا تجد أن الأقوال متفرقة ومتشعبة ومعظمها لا تستند على دليل واضح محفوظ.

بحور الشعر في قبيلة آل مرة :

لقد نظم شعراء قبيلة آل مرة على جميع البحور بفطرتهم العادية دون دراسة للبحور ولا للعروض الشعرية. وإن كان بحر المنكوس في الشعر محصوراً على أهل الجنوب وليس له انتشاراً في الشمال إلا في العقود الأخيرة بل كان الناس في الشمال يسمونه البحر الجنوبي والمنكوس هو البحر الكامل وصيغته:

"فعولن، مفاعيلن، فعولن، مفاعيلن" نحو:

قبل ضيقتي ما صغت قافي على المنكوس

وقبل الهوى ما طحت بالهجس والهوجاس

إذا شفت تفكيري بوسط الملا مطموس

جزيل القوافي تسعدن في غياب الناس

إلا أن هذا لا يعني عدم نظمهم على غيره من بحور الشعر كالمسحوب والقلطة والعرضة والسامري إلى الخمس والعشرين بحر الأساسية وإلاّ فليس لها حصر يجبر الشاعر على التوقف عند عدد معين، فالأصل في ذلك التناغم والوزن والقافية والمعنى والهدف. والشعر بجميع بحوره ومواضيعه وأهدافه تختلف النظرة إليه من شخص لآخر حسب فهمه للشعر وثقافته الأدبية فهناك من يراه مجرد طريق واسع ومسموح للتعبير عن همومه أو أمانيه أو مشاعره وما إلى ذلك.. وهناك من يراه سعادة وأنس وطرباً وترويح عن النفس لفترة زمنية مؤقتة...

والحقيقة أنه أكبر وأبعد من ذلك، فهو تعبير وشكوى وشهادة وتاريخ يبقى قروناً طويلة من عمر الدنيا لا سيما إن كان هذا الشاعر من الشعراء الذين حصلوا على الشهرة الواسعة في مجتمعهم. ولذلك فمن هجى شخصاً لا يستحق الهجاء أو مدح من لا يستحق المدح فهو بذلك يعطي للتاريخ مساراً غير معتدلٍ ويسجل في لوحة التاريخ حادثة غير صحيحة ويعتبر غشاً في المعلومة.

فكم من فترة من فترات التاريخ حاول الملوك والرؤساء والأغنياء وكبار المناصب طمس حقائقها وتغيير مسارها والتعتيم عليها، ولكن الشعر أبى إلا أن يفضحها ويظهر الحقيقة للجميع.

وهذه قصيدة للشاعر مبارك بن جعمل من آل جعمل من آل دوسة من آل جفيش فارس وشاعر، وقد توفي قريبه هادي وكان طيره عند أحد الجماعة والذين أحضروا الطير لمبارك بن جعمل لكونه أقرب الناس للمتوفى، فلما رأى الطير قال:

ما عاد لي بالطير من عقب راعيه

لو كان صيده من كبار الثنادي

والله ما الوم اللي شكى حزن غاليه

من عقب ما جربت أنا حزن هادي

صبي ينجي الجيش إلى حان تاليه

إلى ثار قبس اللي فشقها جدادي

وراعي الرديه كل ما حان ينجيه

لا حل سوق الموت بين العوادي

نجره لمنهو يطلب الكيف يدعيه

يصخي لهم بالبن هو والقنادي

ومثلها في روعة التصوير الشعري قول أبي صيبعة في قصيدة لم

أجد منها إلا ثلاثة أبيات وفيها وصف رائع عندما قال:

يا فهد ذكر علي ما مضى ونة اليوم

ونةٍ ييبس بها الغصن والجاري يجيه

ماخبرت الناس قبلي يغبطون الهدوم

غابط الملبس اللي وليف الروح فيه

ونتي ونة خلوجٍ على الغربال دوم

قد عراوي قلبها الحزن يبسان عليه

وهنا ثلاثة أبيات شعرية بثلاث صور رائعة فعلاً وهي من علامات التميز لدى الشاعر ودائماً يقال: من أراد أن يعرف قوة الشاعر فلينظر إلى دقة تصويره فهو المقياس في الشاعرية بلا شك.

فهو يصور جفاف المشاعر بعد الحبيب بجفاف الغصن بالرغم من كونه على الجاري وهو ماء النهر أو الوديان وكل ماء مستمر في جريانه..

وفي الصورة الثانية يغبط الثوب والفستان الذي يلبسه الحبيب لكونه قريباً منه، وهذا تعبير غاية في الدقة والشعور الوجداني.

وفي الصورة الثالثة يصور شدة الحزن والوجد على قلب

الخلوج التي يبست عروق فؤادها من شدة الحزن، وهذه الصورة تذكرنا بقصة خلوج بن رومي التي يضرب بها المثل في شدة الحنين والحرمان.

علماً أن ابن رومي كان تاجراً كبيراً من أهل الإحساء وعنده منايح إبل في حوش، وكان له ولد وحيد ما أراد الله أن يرزقه غيره، وكان هذا الولد غالي عليه ومتولع فيه كثيراً، فجاء الولد الصغير ذات يوم عند الإبل بالحوش فرمحته إحدى النياق، وتوفى، فما كان من ابن رومي إلا أن ذبح ولد الناقة التي رمحت ابنه أمامها فأخلجت عليه وظلت تحن حتى نفذ شحمها، ثم لقحت ثانية وبعد سنة ولدت مره أخرى وفي اليوم التالي وبعد أن ألقت حوارها، قام وأخذ السكين وذبحه أمامها فأخذت تحن وتختلج عليه، وبعد سنة أخرى لقحت وولدت مرة ثالثة، فقام وذبح ولدها أمامها فأخذت تحن حتى ذبلت وضعفت لا تقوى على السير ولا تأكل ثم ماتت، وقام ابن رومي وفتح صدرها فوجد الكبد سوداء قد ذابت وتفتت ويابسة من شدة الحزن، فقد عاملها ابن رومي بالمثل، وهكذا صارت خلوج ابن رومي مضرباً للمثل عند الشعراء، رغم أن ابن رومي مخطىء لأنه ليس إلا حيوان ليس له عقل، إلا أنه من شدة حزنه على ولده قد فعل بها ذلك، ومن ذلك قول الشاعر فهاد بن مسعر العاصمي وقد نزل بالإحساء بسبب الحاجة التي مسته وأبعدته عن

قبيلته، ولم يكن عنده غير واحد اسمه نصار أخذ فهاد يخاطبه بالأبيات التالية ويشكى الفراق الأحباب كفراق هذه الناقة لولدها:

يا ونـة ونيـتـها يـا بـن نـصار
مـا ونـته مثلـي خلـوج ابـن رومـي

كـنـي مـن الفـرقا علـى كـير بـيطار
شـبوبه ارطـاء والـستاد مهمومـي

صـدري كمـا نجـر زعـول وجـضار
نفـسه علـى مهـواه نفس محمومـي

مـن عقـب مـا ني قـنب صـرت كمبار
سـبحان مـن لـه في عبـيده حكومـي

يـا ويـنهم ربعـي هـل الكـيف والكـار
الـلـي عـلـيهم دارجـات العلومـي

والـيـا نـزلـنـا مـنـزل فـيه نـوار
ذا مقـبل يـمـي وهـذا يقومـي

مزحـي علـيهم مـا يجـي فـيه تـنكار
مـا احـد يـبرق في مـلاوي اعلومـي

وهذه إحدى قصايد الشاعر الشهير الذي انتشرت أشعاره في الكثير من بلدان الخليج العربي وهو هادي بن سهل الغفراني وتعتبر من فرائده، ويقول:

بالضحى شرفت عالي طويل ارجادها

هاضني مشراف ابو ميركه رجم طويل

أبدع القيفان واحسب نظم اجدادها

من هواجيس تخالف ولا منها ذبيل

فوح صدري فوح شامية بقنادها

سج منها اللي ركاها على الجمر الصقيل

يا للي تنشد غاية القلب ويش مرادها

ما أبغى إلا طاعة الله معدل كل ميل

يا الله يا موصل الأيام حسب عدادها

يا عليم بالأجل والغيب والمد الجزيل

يا معيش النفس غصبا على حسادها

طالبك طاعتك فان طاعتك خير فضيل

ترجم الشيطان لان بغى كوادها

وعز أهل الاسلام يوم انك الهادي الدليل

وعمر الدنيا بدين يعز اجوادها

واقهر العدوان باللي على النفس وكيل

اطلبك نفسي لطاعتك واستجهادها

وحط لي قلب يحبك وهو منك ذليل

والجماله جعل ما ني من جحادها

واستجيرك من جواب يجي ما له دليل

ضايع الهرجه ترى ألفايده ما فادها

ورفقة الرديان لها طعم لحم الهذيل

اطلب الله هابل غايتي سيهادها

تجني بالفعل وخيالها زين جميل

اركب اللي ما تصعب على قوادها

خارع كنها غزال يراوزله مقيل

أو هنوف في ليالي تفض حدادها

طربة واللي خسرها حنجها به قليل

حايل عرماس ما كثروا لدادها

زادها المرباع من غير قدميها الحويل

عرضها طول حقرها بها استيعادها

مدبحة مربوعة الراس والعلبى جليل

والمخاصر نابيات وفج عضادها

والخفاف صغار وتصوغ ثرها بالهذيل

كن تصيغاها على الارض واستركادها

نمشة يلعب بها جاهل تو الخليل

وافيه بالحيل والفعل واستعدادها

من الاصايل في القوايل نسمها ما يعيل

جريها في القايله كنه عقب ابرادها

مركب ريف سد ومد وزود حيل

مثل المحاله على ميرادها

وهضعت تشدي لزرن الحنش لادنى المسيل

تنتهد بالجري وتروج كن فدادها

مجرم علم بصوكه ولا سره عميل

لانتوت عقب الصلف كن صريف شدادها

صوت قرن الظبي في كف نساجة جديل

تستخف من العتش والدعث ما كادها

في السنود تزيد وتبدل المشي بهذيل

لا شعفها بالغنى ما قدر جوادها

لا غدى حبل الصريمه كما شرطان تيل

لا يعنيها سنة ما اختلف معتادها

قو همتها والادلاج بالشد الثقيل

ما حلى في الفطر ولامه جوادها

صوب حج البيت يوم استطاع له سبيل

زايد الدنيا لنفس الفتيما زادها

وكثر خشع الله بقلب ألفتى ماله مثيل

كلمتي ما احد نقصها ولا احد زادها

صابت المعنى ولاني على الناس بوكيل

القصيدة بالثلاثين رغم اعدادها

ومن تعدى ما يرد الكريم إلا البخيل

هنا من الأمور الطريفة أنه ختم القصيدة بذكر عدد أبياتها وكأنه يضع الختم عليها لكي لا يضاف إليها شيئا إلا انه سمح بالشطر الأخير عندما قال ما يرد الكريم إلاّ البخيل.

ولنتوقف قليلاً عند هذا التصوير البديع في قوله:

اركب اللي ما تصعب على قوادها

خارع كنها غزال يراوز له مقيل

أو هنوف في ليالي تفض حدادها

طربة واللي خسرها حنجها به قليل

الصورة الأولى الغزال الذي يبحث عن مكان آمن يقيل فيه فتجده يذهب يميناً وشمالاً وتيار الهواء يديره إذا حرك غصناً من أغصان الشجرة أو أن الغزال شم رائحة إنسان عبر الهواء. ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى منح الظباء هذه الميزة الدقيقة وهي شم الكائن الحي سواء إنسان أو سبع من بعيد عبر الهواء ولذلك قال الخلاوي:

يا ويل طراد الجوازي من الهواء

بدخلة سهيل في تقلب هبايبه

لأن القناص يحاول مباغتة الظبي عكس اتجاه الريح لكي لا يشم رائحته ولكن الهواء لا يستمر على اتجاه واحد، وإنما يتقلب من جهة إلى جهة وهكذا يتعب القناص لأنه كلما اقترب منها تغير الهواء وشمت الرائحة وهربت عنه.

وإذا هرب الغزال يبتعد عن الموقع بسرعة فائقة ثم يقف ويلتفت للوراء لكي يرى هل خلفه أحد، ويسمى هذا الوقوف بمصطلح (عاود أو عاودت) وتعتبر هذه الفرصة الأخيرة للقناص الذي يجب أن يطلق الرصاص عليه سواء إصابة أو لم يصبه لكونه بعد هذا المعاود سوف يبتعد نهائياً. وقد نقل هذه الصوره الشاعر عايد بن سعدي الذرفي:

أو عين اللي شاف زول وهج

في خايع ما وطاه سروح

ثم عاد ثم عاج ثم اعوج

وعادات عدي الغزال دبوح

إن لجلجن خمهن وادلج

وان عودن طاح طاح سدوح

ثم فج جوف الغزال ومج

من بندق شاح رميه شوح

أما الصورة الأخرى فهي قفز وحركة المرأة فرحاً عند خروجها من مدة الحداد على الزوج لكونها تشعر أثناء الحداد وكأنها في سجن وعند انتهاء المدة يكون كالعيد عندها وهذه صور رائعة جداً من الصور الكثيرة في أشعار قبيلة آل مرة..

ومن قصائد عبدالله بن صبحان أنه كان مع ابن شريم في قافلة متجهة إلى الحج وكانوا على ظهور إبل وبين أهل القافلة تنافس شريف على المراجل ولكن كان معهم واحد لم يعجب ابن صبحان فاستأذن الأميران يقول فيه قصيدة، وسمح له الأمير فقال:

الموسوعة الحرة في تاريخ وأدب قبائل آل مرة

انا نذير لراعي القذلة الهلة

اللي كما العنز الادميه تحاليها

من واحد لا طرحنا صاحب الحله

وان قيل سمو فلا للي يواليها

ما هي بعورا إذا شامت من العله

دور لها الطيب اللي من تمانيها

قرم يحط الشحم ويزعفر الدله

وينجي الجاذيه لا اختف تاليها

والقذلة: شعر الرأس المربوط بشيء يجمعه ويلمه على بعضه وهناك من ينطقها بالقاف وهناك من ينطقها بالجيم فيقول (جذلة). ويقال إنه من أجمل المناظر عندما ترى البنت الجميلة وهي تسرح شعرها، ولذلك يكثر التصوير لهذا المشهد في الشعر، وأفضل ما سمعت بهذا المعنى قول عبدالله الأشقر رحمه الله:

ألا يا مل عين عن لذيذ النوم مشطونه

وجار النوم عن موقه وزاد الويل والوالي

وحياة اللي تخضع له جميع الخلق يرجونه
فلا احسب الهوى يذبح لمني شفت انا حالي

أنا توي عرفت أن المحبه زايد كونه
تسل الروح برموع له المعلوق ينشالي

نطحني فارع دالع يشوح الريح بقرونه
مغر يطرق القذله يحسب المطرق خالي

تذير يوم لاقيته وضف الراس بردونه
تذّير قلت لا تزمل أنا المملوك يالغالي

غرير غر في زوله وعيني فيه مفتونه
مغر بالهوى توه غرامه لاح باقبالي

العنز: هي أنثى الغزلان، والذكر يقال له: تيس، كالمعزى بالضبط مصطلح الأسماء.

الأدمية: نوع من أنواع الظبى المتعددة كالوضيحي والمها والغزال والوعول وهي بمجموعها يطلق عليها اسم الظبى. وقال أيضاً بعد أن انكفوا من الحج:

هجننا عقب النكوفه زرفلني
زاورن مكه وردتنا عطايف

فوقها ربعٍ سواهم ما شحني
مكرمين الضيف مروين الرهايف

سابقي تدجر إذا غنى المغني
جعل يفداها القضي نابي الردايف

كون منهي يوم غربتنا توني
ما ضحك لخليق بالهرج الطرايف

ومنها قصته مع جاره السبيعي الشهيرة الذي لما رجع لربعه تذكر ابن صبحان فقال هذه الأبيات:

الكيف عقبك خارب يا ابن صبحان
ما عاد عقبك مجلس يدهلونه

كيف الرجال وكيف ذربيين الايمان
أهل البراقع شفتهم يشربونه

اللي على شباتها وقت الإذان
ونجرا يصوت للنشاما يجونه

أهل البراقع: يقصد النساء إنهن أصبح لهن مجلس ومكان لإعداد القهوة تجتمع فيه النساء، وسبب الاستنكار أن الدلال سابقاً كانت قليلة ويحافظ عليها صاحبها فلا يسمح لإحدى النساء أن تقترب منها. وبعد أن وصلت القصيدة إلى عبدالله أرسل له ابن صبحان بدلال قهوة هدية..

لقد لفت انتباهي في أشعار قبيلة بني مرة اليامية تركيز شعرائها على ذكر عفة النفس ونزاهة القلوب والأنفس عن الفواحش وسفاسف الطباع فكثيراً ما يفتخر شاعرهم بعبور المخاطر مهما كادت، ثم يذكر نزاهته عن النساء التي لا تحل له ولا سيما حريم جاره وحريم قبيلته مهما كان جمالهن وهذا هو خلق البدوي العربي الأصيل، فمثلاً نجد شاعرهم القديم والفارس علي بن فاضل من العذبة يقول في وصف بندقه:

قـال الـشبيبي والـذي لـه بـندق

بالوصـــف لا رومٍ ولا بقـــوالي

كـن الحـنش فـيها يهـوش بروضـه

وكـن لـونها لـون الـنبـات المـالي

مـشكاصها مـا هـو يجـنب حوضـها

مـثل المـصلي بالـركوع الـتالي

مـا زيـن تـهـشـالي بهـا في قـفـره

يفـرح بـزجـمة صـوتها الـزمالي

بـرجلن علـى قطـع الفـرج مـا كـنها

وتـنول مـا لـيس القمـوح يـنـالي

مـصيونةٍ مـا هـي تجـي قـصيرتي

مـا شـي يخـون العـرض جـا في بالي

والله ان يـدور الحـول مـا جـي بيـتها

إلا إذا بـــه كــرمة تـعـــبا لي

والا بـشقصٍ مـن ذبـيحة خاطـر

أهـل ظمـرٍ مـن بـرهـن هـزالي

فهو يصف بندقيته بكون مشقاصها (وهو الذي يدفع الإبرة للإمام لضرب مؤخرة الرصاصة) لا يجنب حوضها (أي لا يخطئ هدفه وهو مؤخرة الرصاصة لتنفجر) ثم يشبه حركة نزوح المشقاص للخلف وتقدمه للإمام باستمرار بحركة المصلي الذي يركع وينهض، وهو تشبيه فريد لم يسبق إليه. ثم يمتدح خطى إقدامه ويقصد بذلك مغازيه أو مطاريشه التي تصل للبعيد من الأماكن التي لا يصلها أكثر

الناس لا سيما القموح وهو في لهجة البادية الجبان الرعديد، وهي من قول الله تعالى ﴿فهم مقمحون﴾ وقال الشاعر العربي في وصف رحلتهم على إحدى السفن أثناء هيجان الموج:

ونحـــن علـــى جوانـــبها قعـــود

نغـض الطـــرف كالإبـــل القمـــاح

ولكن خطوته الطويلة في وقت الأخطار رغم طولها إلا أنها قصيرة جداً عن التعرض لنساء جاره فهو يمضي العام لم يقترب منها إلا إذا كانت هناك وليمة أو كرامة ضيف عامة، فهو يحضر مثل غيره، وهذا منتهى الشيمة العربية الأصيلة.

وبمثل هذه الأخلاق أصبحوا مثلاً في حسن الجيرة والصداقة والخوة ونزاهة العرض وطهارة النفس.

وهذا يدفعنا للكلام عن شهامة العجمي اليامي وهو الفارس جريس بن جلباب الملقب (اليماني) الذي لم يشتهر ذكره مع الناس بالرغم من مواقفه الجليلة ولا سيما عندما غاب جاره فحاولت زوجة الجار التحرش بجريس اليماني مستغلة غياب الزوج، ولكنها وجدت رجلاً طاهر النفس وقوي العزيمة في صد هذا العار عن نفسه فاستطاع ردها والابتعاد عنها، ثم قال:

الله مـــن قلـــبٍ هواجـــسيه انـــواع

عـصر الطَّـرب بِعـته ولا عـاد جانـــي

بِعـــته بكـور سـجلّـةٍ تهضع اهضـاع

تـسري لـيا نامـت عـيون الهدانـــي

وان صَـفَّرت نجعـل جِـزنها علـى لقاع

مـن الـسّهج والـسّاهوج والحـيل واني

وان جـوا أهـل هجـنٍ مـن البعد ضلاع

أذبـح لهـم جِـل بكـار(ن) سمانـــي

وقـصـير بيـتي غـالي لـيـن يِـنـزاع

أدعـيه للكـرمة واجـيـه ان دعانـــي

أمـشي معـه بالـشِّـبر وذراع والـباع

واللـي شـحاه مـن المـشاحي شحانـي

ولا ني علـى حِـرمـة قـصيري بطمّـاع

لا غـاب وإلـيها علـيها ألـف امانـــي

وقـصـيرتي مـا اكثرت فيها الـتلمّـاع

لـو انهـا أزيـن مـن ظبـي البيانـــي

وهذا من الأدلة على الشرف والنزاهة في النفس العربية الأصيلة. ومع الأسف أنها لم تشتهر مع الناس بالرغم من كونها جديرة بذلك.

ومن أشعار علي بن فاضل عندما كبر في السن وشعر أن الناس لم تعد تهتم فيه لا سيما أنه كان وقتها في البحرين وبعيد عن جماعته.. فقد كان في المسجد يصلي العشا وكان فيه عشاوين عند ربعه وكل واحد اعتمد على الثاني أنه عزم علي بن فاضل، وكان فيه شخص معه في المسجد، وقال: منت متعشي عند الربع، فعلم أن فيه عشا وما بلغوه فقال:

قال الشبيبي بادي راس مرقب
بنته الذواري من تعاقب هبايبه

لا قل مال الفتى تم في ردى
ما عاد تلحقه الولايم قرايبه

رزقن يجي للعبد من عند ربه
هنيٍ على كبده وبه النفس طايبه
ورزقن يجي للعبد من لا يوده
عليه مثل الكير توقد لهايبه

غيدا لنا بيتٍ هو الكن والذرى
كم واحد منا يناحي طلايبه
خيالنا الكربي اليا ضيقت بنا

راعي الرديه ما جواده يغايبه

وهذه الشكوى من الهرم وكبر السن الذي يقلل أحياناً من قيمة الرجل بسبب عجزه عن خوض الحروب ومصاولة الأعداء في الميادين، والذي اشتكى منه الفارس محمد بن هادي بن قرملة شيخ قحطان الذي كان عقيماً لم ينجب، والذي ناجى الفار مناجاته الشهيرة قائلاً:

ذا لي ثلاث سنين ما جان خطار
صارت معاميلي وبيتي مزله
لو لي عيال كان شبوا لى النار
يجلون عن كبدي ثمانين عله
من أول عندي مقاديم الاشوار
واليوم أقول الرأى ما احد يشله
أثر الكبر به للفتى كسر تعبار
والميته اشلى له إلى فات حله

وهي شكوى سلطان الأدغم من شيوخ سبيع الذي رأى نفس الذي رآه علي بن فاضل، وقال مثل قوله متألماً ومتذكراً ذلك الزمان:

اليوم يا ناصر غدى عارضي شيب
من عقب ما كنه جنح العقابي
عقب العلوم وعقب ذيك التعاجيب
اليوم عود وفي مروفة احبابي
يا ما رقينا في طوال المراقيب
دليلةٍ للهجن خضع الرقابي
ويما جذبناهن لدار الاجانيب
برهراهةٍ يزمي وراها السرابي
وان وردوا رسٍ قليل التشاريب
وردتهن عدن طويلٍ وغابي
ادل من مشقاص هدف العراقيب
لا ورد حوض مقفدات العقابي
وان لحقة الفزعات مثل العياسيب
والجيش خف ولا بزاه الترابي

اردها لعيون زين التعاجيب
واخرب الفزعه بضرب الركابي
واقدم على حوض المنايا إلى هيب
لا هابوا الرديان ما نيب اهابي
واليا خذينا جل ذودٍ حنازيب
افرّح الّي من ربوعي هقابي
ول انيب دعبولٍ هروجه رباريب
سوه على ربعه غضير الشبابي
شري على الفزعه بكثر التصاويب
واثني إلى نار الذليل الرعابي

إلا أن الشاعر جهويل النابتي من آل مرة دافع عن الشيب الذي ظهر في عارضه، ووصفه بكونه كسوة جديدة من رب العالمين ولا عار فيها، وأن الشيب ليس سبباً لنقص الرجل بل العكس، فقال أبياتا فريدة وهي:

يقولون يا جهويل راسك ظهر به شيب
وبالراس قد هي بيناتٍ مواريه

وأنا أقول كله من حديث الهوى والطيب

وشيبٍ ظهر بالراس من هم راعيه

إذا كان ظفر ومشكلٍ دون شك وريب

تزيده وقارٍ يوم شابت لياحيه

وكسوة عزيز الملك ما هيب عندي عيب

ترى العيب قول الناس قطعٍ بطاريه

والبيت الأخير هو زبدة الكلام بلا شك وفيه معنى قوي وبليغ وهو أن الشيب لا يعيب الرجل، وإنما يعيبه قول الرجال إذا جاء ذكره بينهم: (الله يقطعه) أي: الله يقطعه من الدنيا بالموت، أو يقطع ذريته وسلالته وذلك دليل على سوء أخلاقه وظهور الردى فيه.

وفي مثل قول جهويل في الشيب وكونه لا عيب فيه طالما أن الرجل يسير على مكارم الأخلاق سار عدة شعراء ممن ذكر الشيب ما بين مادح وعائب، ومنهم الشاعر العملاق عبدالمحسن بن فطيس من البحيح - رحمه الله - وذلك عندما نادوه بقولهم (الشايب)، وهي كلمة مهما كانت الأحوال لا بد أن يتضايق منها الإنسان أو على الأقل لا يحب سماعها فقال:

اليوم يا بوكم مسيري على الهون

وقفت وقفت يابسات الغصوني

عاشيت في الدنيا معافات مجنون

وانكفت منها ما تقضت شطوني

يا فطيس أنا باوصيك يوم أنت بتكون

أظن بك بالطيب وانت الزبوني

ظم الصلاة اللي تساعد على العون

وصلوا وزكوا كانكم تسمعوني

تدرون باللي يترك الفرض ملعون

وصوموا وحجوا لربكم تفلحوني

وحيوا الطروش اللي من البعد يلفون

واضحك مع ضيفانكم يضحكوني

وباشر إلا جاوك تراهم بيمشون

حاذرك في ضيفانكم تفشلوني

وخل القصير بعازته كنه ممنون

ولد النظر من عورته والعيوني

وامش لخويك يا حبيبي على الهون

ترى الخوي ينشال فوق المتوني

وحط الزبين برفة البيت مأمون

اوصيك يا أبني لا تصير مغبوني

وغطوا على العايل شبا كل مسنون

واعزم على الكايد تراها تهوني

اما تموت بعز والناس يفنون

ولا تغطرف بالفرح واللحوني

يا ونتي ونت طريح ضحى الكون

داجوا عليه موسعين الطعوني

يزهم وربعه بين طاعن ومطعون

خلوه مثل مهتشات الشنوني

نادوني الشايب عسى ما يشيبون

سموني اسم ثاني واحزنوني

اسمي يعرفونه فلا شك يخطون

شافوا لوايح عارضي وابتلوني

الشيب ما هو عيب والناس يدرون

العيب حق الخاينين العفوني

من أول صيدي سمان ومتكون

واليوم لا فزيت له يضحكوني

وإلا لقفته راح يمشي على الهون

سيور من هبت هبوبه سكوني

الله يقاصيهم قدر ما يسوون

كيف قطعوا سلمي وكيف انكروني

وهذه القصيدة بهذه القافية تكون عكس قافية المساجلة الشهيرة التي جرت بين الشاعر المخضرم بدر الحويفي الحربي والشاعر المحبوب جزاء بن صالح الحربي والتي قال في مطلعها بدر الحويفي:

جزاء شكى لي هايفات البطوني

وأنا مسكر دونهن قفل كيلون

والله ما اكذب شي شافت عيوني

قوم على جال الرصيف يتمشون

اللي على حس المسجل تنوني

وعلى صداه تطق الاصباع بلحون

عقبتهم ما لي بهم وعقبوني

من شكلهم يلقون ناس يهوسون

وكثيراً ما يخطئ الرواة وتفوت عليهم بسبب العجلة فعندما يسألون عن بيت من هذه ينسبونه إلى تلك بالرغم من كون القافية متعاكسة. ومن الأمثلة على ذلك قصيدة محمد النجدي الماضية والمسماة بالشيخة ومنها:

أحد على جاره بختري ونوار

واحد على جاره صفاة محيفه

فالصدر على الألف والراء والعجز على الياء والفاء. أما الهاء فهو ضمير والضمائر لا تكون قوافي.

في حين قال سجوان الرويس العتيبي:

يا حمود ريضان الجماعه مريفه

واللي مع الأجناب عده على نار

ويمنى بلا يسرى تراها ضعيفه

ورجل بلا ربع على الغبن صبار

الطير بالجنحان محلا رفيفه

واليا انكسر حدى الجناحين ما طار

فالقصيدتان متخالفتان في القافية تماماً إلاّ أن هذه النقطة فاتت بسبب العجلة على مثل الأديب الكبير عبدالله بن خميس في كتابه (من القائل) عندما أجاب على سؤال من يسأل عن أبيات الرويس، فقال إنها من قصيدة النجدي بالرغم من اختلاف القافية.

وهناك أمور نادرة الحدوث لدى الشعراء ولكنها تحدث أحيانا ولا يتفطن لها البعض وهي تصلح لكي تكون بحثاً أدبياً مستقلاً بذاته فينبغي للناقد الفحص والتدقيق، فمثلاً قال محمد العبدالله القاضي

قصيدته في مدح بلدته عنيزة ومطلعها:

لعـــل بــــراق حقـــوق خـــيالـه

محـــن مـــرن للغــضب فـــيه زلـــزال

وقال أيضاً نفس الشاعر قصيدته الحكمية الشهيرة ومطلعها:

الـصمت بــه سـر سـعد مـن يـناله

والهـــذر بــه شـــر وشـــوم وغـــربال

وكما ترون القافية واحدة وقد يظنها المستمع لأول وهلة قصيده واحدة ولكنهما قصيدتان على قافيه واحدة، الأولى في مدح بلدته عنيزة وأهلها والثانية نظمها بالحكمة والنصيحة. وكثيراً ما يخلطها الرواة ولا يعلمون أنهما اثنتان. وكذلك قول الشيخ جاسم آل ثاني:

لـك الحمـد يـا مبري كـبود الغلايـل

ويـا منـصف مـن كـل باغـي وعايـل

وقوله نفسه:

يا ويل قاضي الأرض من قاضي السماء

لا صــار ميــزانه عـــن الحـــق مايـــل

هاتان قصيدتان على قافية واحدة لشاعر واحد الأولى قالها في وصف معركة خنور ويستنجد بالأمير محمد الرشيد، والثانية قالها شارحاً ما حدث له في سجنه في البحرين.

ومن الخفايا في الأشعار قول خلف أبو زويد قصيدة منها:

مـا يـستوي للبـيض غـيرك ضـواريب

البـيض خطـو المـشتبه وش تـبي بـه

وقول نفس الشاعر قصيدة ومنها:

مـدام سـاهي عـندنا ننتـخـي بـــه

عـدي عـن الذلـه بـسوق المزيـريب

فالأولى قافيتها (يب. .يبــه) والثانية عكسها (يبــه. . يب)

ومن أشهر المتداخلات غير قصيدة الغيهبان والعامري وقصيدة القرقاح والنابتي هناك قصيدة محمد ابن مهلهل بن شعلان من شيوخ الرولة، وقصتها شهيرة ومعروفة إلا أن الكثير من العوام خلطوا هذه القصيدة مع أخرى بنفس القافية والموضوع، وهي قصيدة قضيب راع الطوير بالجوف.

ومن أفضل الأبيات الشعرية التي تلفت انتباه السامع وتشده للقصيدة قول الدقيس الخلوية:

بـرقٍ خلافـك لـو لمـيعه غـدى نـور

لا تـستخيله لـو ربـيعك شـفاقه

وقول محمد بن مهلهل الشعلان:

لـو عـندنا مـن غـيب الأيـام رسـه

الآدمـي مـصلوح نفـسه يدلـه

وسبق أن ذكرنا وصف ابن فاضل لبندقيته :

مـشقاصها مـا هـو يجـنب حوضـها

مـثل المـصلي بالـركوع الـتالي

وهنا سوف أعرض عليكم تصويراً شعرياً بليغاً فاق غيره حتى اشتهر بين القريب والبعيد من الناس، وقد بهرني فعلاً عند أول سماعي له وهو قول عبدالهادي القاشوطي من البحيح:

عـزتي للـي مـن الرسم يخطي ما يصيد

مـثل من يشخط بعوده على غير الدواه

وهذا البيت العجيب له قصة حدثت في منطقة دخان غرب قطر وكان أبطال القصه الشاعر الكبير سعيد بن راشد بن الوذين من آل بحيح الملقب (أبوصيبعة)، والشاعر الكبير جابر بن محسن آل جبران من آل جرابعة، والشاعر عبدالهادي بن محمد القاشوطي من آل بحيح وكانوا يشتغلون في دخان تقريباً في الخمسينات (عليهم رحمة الله جميعاً) وتعاهدوا بأن لا أحد منهم يقول الشعر خوفاً من أن الشعر يذكرهم بمنازل آل مرة البرية ويدفعهم ذلك لترك العمل والعودة إليها.

وكان عبدالهادي صغير في السن وكان الوقت في بداية الشتاء وكان عبدالهادي وحيداً في رأس مرقاب ثم رجع إلى جابر قبل الغروب وشكله حزين، قال له أستحلفك بالله ما قلت شيء من الأبيات؟ قال: لا، ثم أصر عليه بالسوأل فقال عبدالهادي: بلى قلت:

مـن عـذل قلـب طـراله مـسيره ما يفيد

مثل من هد الوحش من سبوقه ثم دعاه

وقال جابر لعبدالهادي: لا تعلم سعيد إذا أتى حتى انتهي من بدع القصيدة، فقال جابر الجربوعي :

بالضحى عديت في راس مشذوبٍ حديد

راس مشذوب حديدٍ يعني من رقاه

يا وجودي والحسايف عليهم ياسعيد

حي بدوان تقازوا من المندى وراه

جعل براق الوسامي عليهم تستقيد

جعل رايحة المخايل تسقي جال ماه

زوع قلبي زوع قرناس شيهان عديد

من قرانيس الهوا لاحق ريشه مداه

وين بلقى الطارش اللي بديرتنا عهيد

والخبر يأتي من البدو لا جات الزكاه

ولما علم سعيد بنقضهم للعهد أخرج السبيل والكبريت وأخذ يحاول يولع الكبريت ولكنه كان مقلوباً وقال لعبدالهادي: هل أنت شاعر حتى تهيض قرائحنا؟ فقال عبدالهادي القاشوطي :

من عذل قلب طراله مسيره ما يفيد

مثل من هد الوحش من سبوقه ثم دعاه

قلت أنا لي بيت واحد وظن أنه وحيد

ما درى أن القاف يبدع والاخر في قفاه

عزتي للي من الرسم يخطي ما يصيد

مثل من يشخط بعوده على غير الدواه

وقال سعيد بن راشد آل وذين:

هضت ما بي يا بن محسن وأنا منك أستفيد

هضتني والقلب قد فيه من الاول قذاه

قومك اللي قام يلعب على أن ما له ضديد

مادرى ن الناس تشكل على شكل دعواه

ونتي ونة ضمايا تدور للبريد

حامت العد الخلاوي وعدت من جباه

تلني تل الاطاليق للي فيه قيد

تلته والنضو بالقيد مقصور جداه

وهذه المساجلة من أروع المساجلات التي اطلعت عليها في تاريخ الجزيرة العربية وفيها عدة صور شعرية بليغة ودقيقة الوصف مثل:

مـن عـذل قلـب طـراله مـسيره ما يفيد

مثل من هد الوحش من سبوقه ثم دعاه

وهنا يقول: إن الذي يعاتب القلب الذي رف لدياره وأهله وقرر المسير يعتبر لا فائدة منه لأنه فات الوقت على ذلك وأصدر قراره ثم أعطى الصورة قائلاً: إن حاله مثل حال الذي يطلق الطير الوحش الذي لم يتم تدريبه ولا يزال لم يؤالف الناس (من سبوقه) والسبق هو قيد الطير الذي في رجله. ثم بعد انطلاقه يعود يناديه لعله يرجع، وهذا مستحيل لكونه وحش وفرح بالانطلاق بعد القيد. وكذلك قوله:

عـزتي للـي مـن الرسم يخطي ما يصيد

مـثل من يشخط بعوده على غير الدواه

وهذا البيت هو سبب شهرة هذه المساجلة لكونه ذاع واشتهر في كل مكان.

وأصبح مضرب مثل فيمن يريد أمراً ولكنه لم يأتيه بالطريق الصحيح فهو يصبح مثل من يحاول إشعال النار من الشخاط (الكبريت) ولكنه لا يمرر العود على المكان المخصص لذلك في جنبي علبة الكبريت.

وكذلك قول الشاعر سعيد الوذين:

تلـني تـل الاطالـيق للـي فـيه قـيـد

تلـته والنـضو بالقـيد مقـصور جـــداه

فيقول كيف أصبحت أشعارهم وذكرى الديار تسحبه وتشده بقوة حتى أصبح مثل شد الإبل الطليقة للإبل المقيدة عندما يخيفها شي أو يجذبها شي كالطعام وأمثاله. فهذه طليقة والأخرى مقيدة والطليقة لن تراعي ظروف القيد في الأخرى وتصبح معاناة..

وهناك خلاف بين أهل الأدب بخصوص القوافي التي تنتهي بالألف والهاء مثل (جداه أو بداه) والخلاف ما بين متشدد ومتهاون.

فالطرف الأول: قال إنه لا بد من تثبيت الحرف الأصلي الذي قبل الألف والهاء فمثلاً (جداه) لا بد من تثبيت الدال في القافية لكون القافية بدون ذلك تصبح ألفاً مقصورة، وهاء الضمير وهي لا تكفي. وبذلك يريد أن تستمر قافية القصيدة على هذا النحو (جداه..هداه..بداه..غداه) وهكذا.

الطرف الثاني : لا يشترط ذلك ولكنه يقول إن ثبت الشاعر الحرف الأصلي فهو من محسنات القافية. وهنا لا بد الأخذ بعين الاعتبار للهجات القبائل المتعددة والتي نشأ وتربى عليها الشاعر وأصبح ينظم عليها ولو حاول النظم على غير لهجته سيجد أن في الأمر تكلفاً وعدم قناعة.

ومن روائع التصوير الشعري قول الشاعرة بخيته عايض آل عذبة المرية المعروفة باسم (بخوّت) أو بخوت المنيرة التي تعتبر من أشهر شاعرات الجزيرة في القرن المنصرم هي ومويضي البرازية ونورة الحوشان.

قالت بخوت:

كـل الـشواعير في وادي

وانـا علـى الـباب سـديته

يـا كـود يـا ابـن سـهل هـادي

طلـع مـع اللـيل مـا ريـتـه

وهي تعلن وتقرر أنها تفوقت على جميع الشعراء حولها حتى أنها أدخلتهم في وادي وأقفلت عليهم باب الوادي وأصبحت هي في بابه وفي الميدان وحدها.

ونظراً لكونها في وقت الشاعر عبدالهادي بن سهل الغفراني الشهير فهي لن تشمله معهم لمعرفتها بقوته الشعرية وفي نفس الوقت لا تريد إعلان استسلامها أمامه، فقالت ما عدا ابن سهل لكونه انفلت منها تحت ظلمة الليل دون أن تشعر به. وهذا قمة الروعة والإبداع في الصورة الشعرية.

الخلاف في هجينية تنسب لزوجة ابن نقادان:

في معركة الصريف الشهيرة عام ١٣١٨هـ-١٩٠١م والتي دارت بين أمير الكويت مبارك الصباح ضد جيش أمير حائل عبدالعزيز بن متعب الرشيد، وكان ضمن تلك البيارق الشيخ عبدالرحمن بن نقادان من شيوخ قبيلة آل مرة. وقد قيلت قصيدة هجينية اشتهرت بعد المعركة ونسبت إلى ابن رشيد ونسبت إلى غيره، ومن ضمن من نسبت إليه شاعرة مرية قيل إنها بنت ابن نقادان، وقيل زوجة ابن نقادان، وأما كونها بنته فهو مستحيل لكون كلماتها شمالية قحة وربما زوجته لكون الرجل قد يتزوج من غير قبيلته، وربما من أهل الشمال، وإن كان فخذ العذبة من آل مرة لم يؤكدوا شيئاً من ذلك إطلاقا والأبيات تقول:

يـا نـور عـيني يـا أهـل لـبدة

يـا اللـي علـى الجمـع دلاقـه

تهوش هوش هو الزبدة

ما هي سواليف ملاقه

ابن صباح هبد هبدة

وسعدون ما طلق نياقه

والمدح تستاهله عبدة

والاسلم حماية الساقة

هل السمك صابهم رعدة

وابن مضيان وشفاقه

وهنا مشكلة وهي أن الكلمات في الأبيات كلمات شمالية وقريبة جداً من لهجة شمر بالذات ولكن كذا قال الرواة الثقات - من أهل لبدة - منهم: عبدالعزيز الموسى الربيعان وهو من مواليد ١٣٢٢ هـ -١٩٠٣م. ووردت في مخطوطة للشعر العامي جمعها الراوية فالح العبدالمحسن العتيق - من أهل لبدة - يرحمه الله. وعثمان القاسم المتوفى في ١٣٧٣هـ -١٩٥٣م طبقاً لما ورد في تاريخ الشيخ عبدالكريم الصالح السالم - من أهل لبدة - وهو ما يزال مخطوطاً. ولا أزال حتى كتابة هذه السطور أبحث عن الصواب.

ولو ثبت لي أن الشيخ ابن نقادان كانت له زوجة من غير قبيلة آل مرة لجزمت بها لكي يتم التوفيق بينها وبين ما ورد في المخطوطات الحائلية وروات أهالي حايل الشهيرة.

علماً أن فترة الشيخ عبدالرحمن بن نقادان غير محفوظة تمام الحفظ بحذافيرها، والرجل قد يتزوج المرأة شهراً أو شهرين ثم يطلقها دون أن تنجب طفلاً فيطويها الزمان وتدخل غابة النسيان، والله أعلم..

أجيال الشعر النبطي في قبيلة آل مرة :

يعتبر الشعر النبطي في منذ ظهوره على الساحة الشعبية وخلال تطوراته المتكررة في الصياغة والمنهج وتدرج الأفكار قد مر خلال تاريخه في أربع مراحل شهيرة يقال لها (أجيال) وفي كل جيل برز شعراء لا يمكن حصرهم ويكون البروز لأشهرهم فقط وهذه الأجيال هي:

١- (جيل الشعر القديم) :

وهو في الفترة التي تمتد من ظهور الشعر النبطي مطلع القرن السابع الهجري ٧٠٠هـ تقريباً وحتى عام ١١٠٠هـ الذي هو تاريخ تدوين التاريخ من جديد وظهور الدولة السعودية الأولى وهذا الجيل

هو جيل الشاعر الخلاوي ورميزان بن غشام والمهادي وشايع الأمسح وبركات الشريف ويعتبر راشد الخلاوي وهو أبرز أعلام الشعر في تلك الفترة وهو نمط الشعر الهلالي.

ولا نعرف من شعراء آل مرة في هذا الجيل سوى الفارس حمد الغيهبان من آل جابر. ولا نعرف سواه في هذا الجيل الذي بلا شك أنه حوى العديد من الشعراء في قبيلة آل مرة، ولكن طواهم النسيان وضاعت أشعارهم مع جيلهم الذي مضى دون أن يحفظها ويوصلها إلى الجيل الذي بعده. .

٢- (الجيل الذهبي) :

ويسمى جيل الفطاحلة وجيل الفحول وجيل الأعلام وهو قمة بروز الشعر النبطي وذروة روعته.

وهذا الجيل في الفترة تمتد من عام ١١٠٠ هجري وحتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري أي ١٣٥٠ هجري وهو وقت بداية التحول من حياة البادية شيئاً فشيئاً وبداية ظهور الصناعات الحديثة كالسيارات وغيرها، وهي أشياء كان لها تأثير كبير وتغيير واضح في المعاني الشعرية.

وسمي (الجيل الذهبي) لكونه حوى أفضل الشعراء الذين مروا

على الشعر الشعبي وكانت أعدادهم كثيرة، وهو جيل القاضي وابن لعبون والتبيناوي والعواجي وابن ربيعة وابن سبيل والعوني والدويرج وابن رشيد والعرفجي وراكان والهزاني والوضيحي وابن هدلان وتركي بن حميد وابن هادي والقريفة والفراوي وغيرهم كثير من فحول الشعر النبطي، ويعتبر الشاعر محمد عبدالله القاضي هو رمز هذا الجيل وزعيمه.

وقد برز من شعراء آل مرة في هذا الجيل عدد كبير مثل:

علي بن فاضل الجفيش. عبدالرحمن بن نقادان. شويرب المجاحيد. سالم الحايف. شافي بن محوال. محمد بن ريحان. عامر بن طفلة. حمد عيشة. صالح بن ثانية. حمد العيطلي. سعيد بن مرصع. راشد أبو أصيبعة. راشد بن نديلة. محمد بن جارالله. سعيد بن عليان آل قرح. الحوف بن معيان الغفراني. تويم بن خصوان. حمد بن جابر المغرز. علي بن راشد المقارح . عبيد بن حران. حمد بن غالي. محمد بن شريم. جابر بن عزيز النابتي. محسن بن فطيس. حمد بن حفيظ النابتي.

وهذا الذي يحضرني الآن من الأسماء لكوني أكتب من الذاكرة، ومع ذلك فهو عدد كبير جداً رغم أني أعلم أنني لم أبلغ النصف منهم ولكنه مجرد نموذج بسيط.

ومن روائع هذا الجيل قصيدة حمد العيطلي الجربوعي التي أسندها لابن عفيشة وهي:

يا وجودي وجد من حط معروفه وضاع

بين بوارٍ وما بين جحادة الجميل

أو وجود غريرٍ فاقدٍ حلو الرضاع

ماتت أمه والمنايح حلال القوم حيل

أو وجود الي فقد ماقف القرم الشجاع

محزمه في الضيق لا جاه مختف الشليل

أو وجود الي ورد على تسعين باع

لطموا الاولاد ذوده وهو ربعه قليل

أو وجود الي بعد كنة الجوزى ضياع

ونثنى طرادها عقب باربه الصميل

واصطبر منه إلى حل فراق الوداع

مثل صبر عمير من صاحبه وقت طويل

سمع الشاعر عمير بن راشد آل عفيشة التي أرسلت له من قبل ابن خاله ورد عليها في هذه القصيدة:

ما جداه إلا الزهم يوم شاف إبله تصاع

ما معه ربعٍ يوطون سو اللي يعيل

واعزتا لي جسم حالي من الهم استصاع

من هوى زين التواصيف منسوع الجديل

قد نسيته يابن خالي وخليت الولاع

من جميع البيض وامحنت قلبي بالعويل

ياحمد لا بد عقب المفارق الاجتماع

لا تبيح بالعزا يوم فارقت الخليل

كون دمعك هل وأوحيت قلبك يوم زاع

يوم قال استر على ما وزاك يا الوكيل

رحت من خللك بسوق المشاري والمباع

واقف ما نلت من وقفته عندك ذبيل

مـا بـراك إلا التهجـي بـشوفه كـل سـاع

لا بغـيت تـسج قـل يـا ولد عمـر سبيـل

كأنهـا ضـاقت علـيك المناهـيج الوسـاع

مـا تـضيق إلى على الآش وصحيب الذليـل

قـم تـرحل فـوق مـا تطـوي البيـدا ربـاع

مـنوة الطـارش تـبوج الـريـادي بالهذيـل

لا وطـت بالحـزم قلـت إنها بأرض خشاع

كـنه ضـايمها إلى درهمـت حمـل ثقيـل

در علـيها الكـور وأنت البخيص بكل قاع

وأنت راعي الشف وأنت المعنى والدليل

٣- (جيل الخضارم) :

وهذه الفترة تبدأ من عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م وحتى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ويسمى جيل الخضارم، والشاعر المخضرم هو الشاعر الذي أدرك جيلين من الأجيال، وقد حضر هؤلاء حياة البادية وبداية التطور الحضاري وأصبحت أشعارهم مزيج من الجيلين وهذا يعطيه

ميزة رائعة نراها في أشعار محمد السديري وزبن بن عمير وبندر بن سرور وعبدالله الأشقر والأزيمع وفهد الغسلان وعلى الباحوث ومحمد الديري وغيرهم. ويعتبر بندر بن سرور العتيبي وعبدالله الأشقر هم أعلام هذا الجيل.

واشتهر من قبيلة آل مرة عدة شعراء في هذا الجيل ولكني أرى أن جهويل النابتي وعبدالهادي بن سهل الغفراني يتربعان على صدارة شعراء هذا الجيل.

٤- (الجيل الحديث) :

وهذه الفترة من عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م وحتى الآن وهذا الجيل تكثر في أشعارهم المصطلحات الحديثة والكلمات العربية الفصحى التي درسها شعراء هذا الجيل في مدارسهم. وهو جيل كثير الشعر إلا أن الكثير منه غير مقنع وبعضه رديء وربما لا يعتبر شعراً يحتوي ركائز الشعر الأساسية وهي: أ- الوزن ب- القافية ج- المعنى د- الهدف أو الغرض من القصيدة.

ومن الشعراء الذين غلبت على أشعارهم عزة النفس وكثرة اللوم على الزمان الذي اختلفت موازينه بين الناس وكيف أنها قلبتهم رأساً على عقب الشاعر محمد بن جهمان الغفراني الذي يقول:

كثر الكلام وكدر البال تحريش

أهل النمامة والقلوب الغشيشه

ناسٍ بنوا بالغش بيتٍ وحتى ايش

ما فيه لا بابٍ ولا به دريشه

لا تسألوني ليش نفعل كذا ليش

لا عاد ما منكم حدٍ مستحيشه

لا عاد منكم ما ارتجي حبة العيش

رزقي على اللي كل حيٍ يعيشه

اللي يبدل قشرة البيض بالريش

وخلاه عقب العش يكفخ بريشه

متى يجي يومٍ نرى فيه تشويش

لعل بيت الخوص يفقد عريشه

ويجف ريق محوش المال تحويش

والعطش ساعتها تروي عطيشه

والخوص يرجع صوب ساسه من الحيش

لاهبها النسناس تسمع وشيشه

وقد اختلف الأدباء والنقاد في موافقة أصحاب هذا المنهج أو مخالفتهم وذلك لكون الذين يخالفونهم ويرفضون قبوله يطبقون مقولة (من حصل شيئاً يستأهله). ويرون أن هذا المنهج وسيلة لتبرير فشل أصحابه في الحياة التي ربح فيها غيرهم وأصبح هو الأعلى وهم أقل منه مكانة وقيمة. وأنهم يضعون اللوم على الزمان فقط للعذر وإلا فالفشل الذي يعانون منه ليس بسبب الزمان وإنما هو منهم هم وبسببهم على قول الشاعر:

نعيب زماننا والعيب فينا

وما لزماننا عيب سوانا

والمشكلة أن هذا المنهج سار عليه أناس لهم منصب ومكانة في دنياهم مثل محمد السديري الذي ورد هذا المعنى كثيراً في أشعاره. ومن الأشعار الشهيرة فيه أبيات هضيبان البرازي المطيري الذي يقول:

يقطعك دنيا تفجع الغانميني

ترفع ذنب وتهبط العنق والراس

رخص الحصان ورخصوا الطيبيني

وغلي الحمار وما يشابه من الناس

ولد الردي يدحم بكتف متيني

وولد الحمولة قام يمشي مع الساس

ويقول خلف أبو زويد الشمري:

تسلطنت ناس هله ميتة نار

ونيران أجاويد يحرث سماده

والذيب لو يطلع عليه الطلي نار

وصارت عواقيب السباع الشراده

والصدق خلي بارقٍ له على دار

والكذب سلف للجهامه وقاده

وقال عبيد الأسعدي راعي بقعاء:

لا والله إلا دوبحن الليالي

واقفن بشيمات العرب والمرواه

أقفن ولا خلن للأجواد تالي

إلا ذميمة واحد وين ابلقاه

داسن صناديد العرب بالنعالي

خلتهم الدنيا والأيام عجلاه

والذي أراه والله أعلم، أن نزول معايير الطيب والمراجل جيلاً بعد جيل يعتبر أمراً لا غرابة فيه للحديث (كل عام والذي بعده شر منه) ولذلك أبو زويد يشكي مع أنه عاش قبل قرن مضى فكيف لو حضر ما بعده وهكذا.

وقد لاحظت وضوح كلمات شعراء آل مرة وظهور معناها بشكل جيد بنسبة ٩٠% من مجموع الأشعار التي مرت علي بالرغم من كوني شمالياً إلاّ أنه من النادر أن تمر بي كلمة ولا أفهم معناها.

في حين أن لدينا في الشمال بعض الأشعار التي لم أفهم كلماتها إلا بالاستعانة بكبار السن وإليكم هذا المثال الطريف فعلاً. فهنا سترون العديد من الألفاظ البدوية والشعبية والتي لا يعرف البعض معناها والمقصود منها لعدم استخدامها فيجد الشباب الآن معاناة كبيرة لمعرفة وتفسير معانيها لا سيما المهتمين في حين أن للشاعر شويرب المجاحيد الذي اشتهر بقصائد الحرب قصائد رائعة

خارج هذا النطاق الحربي ومتضلعاً في أبيات الألم والرثاء بعد مقتل خمسة أشخاص من جماعته فقال:

السبارحه كني على لاهب الكير

ما أمسيت من كثر الهموم اتلوا

كله أسبابك يا زبون المناعير

ذكرتني باللي مضى لي وتوا

خمسة حرار عند تالي المظاهير

ومحد نشد عن حالتي ويش سوا

لا جاء نهار فيه ربح ومخاسير

بإيمانهم حد القديمي يروا

منهم زبون الخيل لا أقفت مدابير

وزبن الكديش اللي غذاها يقوا

وراك ما سويت مثل الصقاقير

يا ابوك ما شبيت للطير ضوا

وهذه الأبيات على بحر المسحوب إلا أن قافية الواو تعتبر قليلة الاستعمال لقلة كلماتها التي تركب على هذه القافية.

وهذه قصيدة للفارس الشهير حمد بن جابر الحنزاب من العذبة والملقب حمر شعر وقد قالها بفرسه عندما ظهرت عليها أعراض المرض فقال:

يا الله يا معطي من النود نسناس

يا للي بشدات المخاليق داري

تشفي لنا اللي كنها ظبي الاطعاس

ريمية جاها من النود ذاري

يا سابقي ربي يجيرك من الباس

والله يجيرك من صدوف الجواري

طويلة الحارك ومربوعة الراس

كنه براها تحت الأثفان باري

ابغي اليا منه زمت قسب الأفراس

اكمى بعضها والبقايا تشاري

وأنا مع أولهم تقل شارب كاس

لا ني بمن ذهني ولا ني بداري

وابغي إلى من بكر الوسم برماس

وهابوا جميع البدو شرب الخباري

نرعى إلى منه خنس كل خناس

بحدب الظهور وناحلات المجاري

هذه الأبيات على بحر المسحوب وهي على غير عادة شعراء آل مرة الذين تعودنا منهم أن تكون هذه المشاعر للناقة أكثر من الفرس. وهم بلا شك أنهم أهل خيل لكونها وسيلة الحرب الأولى إلا أن الحب للإبل وهو أمر من الله سبحانه.

والذاري: يطلق على الهواء وأحياناً يطلق على طعس النفود المرتفع فيقال عنه ذاري وضاحي وطعس وقعر قالت راعية بريدة:

قلبي كما سمح نثر له بضاحي

يا من يلم السمح والرمل غاطيه

فقال محمد القاضي بسرعة بداهة وفطنة وذكاء:

يأتيه من نو الثريا رواحي

ينبت على دور السنه ثم نجنيه

وقال سليمان بن شريم في قصيدته الرائية الشهيرة:

ترى سنحة العانق اليا لد ما درى

مثل سنحة العرجون في صفحة الذاري

والعرجون نبتة تتكاثر في النفود وتميل للبياض في اللون.

في صفحة الذاري أي في عرض الطعس الرملي..

ومن شهيرات الشاعرات في قبيلة آل مرة الشاعرة بخيته بنت عايض آل عذبة المري المعروفة باسم بخوّت، قالت الشعر في سن مبكّرة من عمرها وكانت شاعرتنا يتيمة الأم وقد تطرّقت إلى جميع فنون الشعر: غزل، مدح، وصف، رثاء ومن نوادر قصائدها:

يا جماعة وإن عزمتوا على أنكم راحلين

غمغموني عن مظاهيركم لا أشوفها

كن في قلبي لهب نار بدو نازلين

ولعوها بالخلا والهبوب تلوفها

عيدو بي فالخلا والفريق معيدين

كل عذرا نقشت فالخضاب كفوفها

ول عود لاش رحمه ولا قلب يلين

عل ذودك في نحا القوم وأنت تشوفها

ومن تابع قصائد بخوت يجد أن أكثر أشعارها على بحر المنكوس، ولا تحيد عنه إلا في النادر. في جميع قصائدها التي لا تزيد في العادة عن سبعة أبيات، ولكنها لا تخلوا من تصوير فريد يلفت الانتباه ويجذب المستمع.

جعل وبل الغيث يسقي ديار المفرعين

منزلٍ للي هروجه حليب معدّيه

ضيقتي في خاطري دايمٍ ما هوب زين

قومي اللي سم حالي وبيّح سدّيه

إن سجنته قام يتبع دروب الدالهين

وإن نشدته قال انا علتي متعدّيه

إن بغى خلّي جنابي فلا غيره ضنين

وإن بغى يقفي فيقفي مراح مودّيه

نلاحظ فيما سبق عزة النفس المعهودة من (بخوّت) وخاصة في البيت الأخير، كما نلاحظ تشبيهها حديث (الخل) وكأنه حليب أغلى نياقها وتدعى (معدّية). أيضاً لها هذه الأبيات في مفهوم استعادة الحرية وعدم احتكار النفس:

زوع قلبي زوع طيرٍ قطع قد هو حكير

من شياهين البحر واستحل أهجارها

كلما صاح المصيّح تعلوّت تستدير

عقب ما هي حكرةٍ سعدها بطيارها

هنا في هذين البيتين نلاحظ تشبيهاً بليغاً فهي تشبّه القلب بنوع من أنواع الطيور (الشاهين) حينما تكون ربيطة السبق والوكر وتقطع السبق وتردم في عرض الفضاء الشاسع. وللشاعرة (بخوّت) التي تتوجّد فيها على بيت الشعر والسكن في البر بعيداً عن القرى وبيوت الطين:

تواجهت أنا وصويحبي بين لحلوحين

ويا عل الحيى بين اللحاليح ينكره

وجودي على بيت الشعر عقب بيت الطين

وجودي على شوف المغاتير منثرّه

وجودي على خوّة هل الموتر المقفين

وجودي على شوف السهل من ورى الحرّه

اليا حلوا العربان وصاروا على بيتين

ومن كان له خلٍ على ذاك ما غرّه

ولها أيضاً هذه الأبيات التي تفضّل فيها ابن البادية علي الدريول (السائق) ورئيس العمل لما لابن البادية من صفات حميدة شهامة، أصالة، نخوة:

حن قلبي حن ماكٍ على سمر العجل

عشّق السواق والدرب ممسوكٍ وراه

إن عطا مع طلعةٍ عشقوا له بالدبل

وإن تسهّل ريّحه لين يا صل منتهاه

ما بشفي لا دريول ولا ريس عمل

شفي اللي كل ما شاف براقٍ رعاه

قاطنينٍ فوق عدٍ على جاله عبل

طيبٍ للبل وراعيه ما يقطع ضماه

ونتي ونة خلوجٍ ولدها ما جدل

تشرف المرقاب للذود وتعوّد وراه

ولبخوّت قدرة على الوصف نلاحظها من أبياتها التالية:

يا حن قلبي حن ماكٍ مع الطلعات

لا عشّقه بالعايدي والدبل جرّه

جرمه ثقيل وحملّوا فوقه البيبات

ويدعس عليه أبنزينه ولا سرّه

أنا دمع عيني بالدقايق وبالساعات

ولا هي على فرقا المحبين مسترّه

هواجيس قلبي كل ما أقول راحت جات

تخالف علي باليوم خمسة عشر مرّه

وهنا نورد بعض النماذج من أشعار الشاعرة (بخوّت المريّه) والتي لم يعرفها إلا القليل القليل من أقارب الشاعرة:

ونتي ونة قطيعٍ على جال القليب

دوّجت ثم بركت في مراغة عدّها

المحبة لا سطت ما يعالجها الطبيب

روحتك يا صاحبي ليت ربي لدّها

عادة الدنيا تفرّق حبيبٍ عن حبيب

يقطعش يارفقةٍ والمفارق ضدّها

وتعتبر الشاعرة بخوت المريه هي والشاعرة الدقيس الخلويه اشعر النساء على الإطلاق في القرن المنصرم والدقيس هي صاحبة القصيدة التي يردد الكثيرون بعض أبياتها لكونها حكمة بليغة عندما قالت:

أمس الضحى عدّيت في راس مزبور

أشرف على راعي العلوم الدقاقة

أنا شفاتي واحد من هل الهور

هو عشقتي من ناقلين التفاقة

عوق " الظليم إذا تحدّر مع الخور

دم القرا ينقط على عظم ساقه

هو صارلي عوق ونا صرت ثابور

والكل منا صار شوفه شفاقة

لعب بقلبي لعبة الغوش بالكور

وأومى بي أوماي العصا بالعلاقة

غديت أنا لا أحدي ولا بدي ولا أثور

كني خلوجه ناهبينه وساقة

يا ونتي. ياما بكبدي من الجور

ونة ضعيف ضاهدينه رفاقة

ودِّه سمر قلبي ورا مشّة الزور

سمر الحديد اللي جواد حلاقة

فلما سمعتها أمها تردد هذه الأبيات بادرتها قائلة محذرة لها من عشق رجل لا تأمل الزواج به حسب العادات والتقاليد فقالت الأم:

برق يجنّب عنك لو كان به نور

بالك تخِيله لو ربيعك شفاقة

ترى الرجال بهم تمازيح وغرور

ومن قبل بخصه لا يجي لك عشاقة

بادرت "الدقيس" أمها بجواب سريع مفحم وموجز مختصر أسكتها بقولها:

من لا استشارك لا تباديه بالشور

ومن لا يودك سعد عينك فراقه

وعندما علم الشيخ مانع بن سويط من شيوخ الضفير العشق الذي وقع بينها وبين أحد أفراد عائلته غضب وأجار عليها جيرة أن ترحل عن القبيلة فقالت:

وراك يا مانع تذمن بجيرة

زوداً على تلطيخكم بالمعايير

أنا صليبيه ولا ني نحيرة

وانتم نحايركم رقاب المناعير

أنا بديره والحبايب بديره

وجيرانكم ما تمرح الليل يا أمير

مانع ليا ركب الجواد الظهيره

ماله شبيه يعلم الله سوى الزير

زير العراق اللي ربى بالجزيرة

شيخ كبير ووافي بالتباشير

تطعن بعيني فاطر له ظهيره

غبوقة الخطار برصى مواخير

واللي فرق بين العشير وعشيرة

هو له وأنا ليه ولي المقادير

يالله عسى ما تكره النفس خيرة

يا والي الدنياء عليك التدابير

ولا نريد الإطالة في هذا الموضوع الذي أتمنى أن افرد كتابا خاصا فيه انشالله. ولعلنا نختم أشعار بخوت المريه بقصيدتها الرائعة والتي تقول:

البارحه باديه في راس منزمه

لا هوب حزمٍ ولا طعسٍ ولا قاره

البارحه والحبايب كلنا لمه

ويوم اصبح الصبح كلٍ راح في داره

حسبي على الحلم يكذب جعله الهمه

سوّى بحالي كما عودٍ ونجاره

منزمه: أي مزمومة ومرتفعة عالياً. قال مسعود عبد الشيخ بن هذال:

أمس الضحى نطيت أنا راس مزموم

تلعب الأرياح شرق وشامي

رجم طويل ما رقى رأسه البوم

كود العقاب الصيرمي والقطامي

قولها: سوّى بحالي كما عودٍ ونجاره نفس صورة ابن سليمان بن شريم عندما قال في قصيدته:

البارحه يا عشيري ضاق صدري

من لاهب بالحشى زود لهيبه

يا ناعم العود حالي منك مبري

بري النجاجير للعود الرطيبه

وهذه مساجلة قصيرة حدثت بين الشاعر المعروف ابن عفيشة الهاجري والشاعر محمد ابن جارالله من آل حسناء وهي عبارة عن بيتين لكل شاعر وتبدوا إنها كانت مداعبه سريعة إذ يقول ابن عفيشه:

يا دايج السوق ما شفت ابن جارالله

امدين ويتفكر فالمزايني

أنا أحسب انه صحيح ونيته لله

وأثر المغربل يختل الناس بالديني

فقال محمد بن جارالله في رده على ابن عفيشه:

يأهل الركايب عراوي القلب منتله

هجوا هجيج ترا الدرهام يحييني

عيدي على عوص الآنضاء ياعدو الله

يوم أنت مثل السفيهه فالبلادييني

وهذا المعنى نفسه ورد في المساجلة الشهيرة التي جرت بين فهد الازيمع المطيري وأخيه سالم الأزيمع وهو معنى إظهار التدين وان الواقع عكس ذلك عندما قال سالم الازيمع:

أنا أحسبك مدين يافهد والدين في ظلال

اليا شفت البلوت قطيت تلعب مع لواعيبه

أنا أشوف الربع خلوك مثل حصان بن هذال

عسيب بين رجليك تقبل به وتقفي به

وهذه قصيده غزلية قالها محمد ابن جارالله الحسناء وهو من الشعراء الذين يركزون في أشعارهم على البحور السامريه التي تطرب المستمع ومن النادر أن ينظم على غيرها.

تكفون خلو وليفي لا تحاكونه

لا تلحقونه مشاريه على شاني

حسيتو القلب يومنكم تحسونه

حس المناكيف هجنن حيلها وإني

أن كان أبو صاحبي وأمه يحبونه

حلفت ما منهم اللي جاه ما جاني

ماني بمنه على شي تقولونه

غير أجودي بطيب الخلق يقناني

يا من لقلب مشع به حب مضنونه

نشع الصدا في عروق السير لا لآني

اليا جفاك المدر واللي يرودونه

دار بدار وخلان بخلاني

موتك بجو سرابه يطرد دونه

أخير من مقعد لك فيه حقراني

وله أيضاً:

يا واهنيك بالهني يالشاوي

ما همك إلا الصاع تازن كيله

يا واهنيك ما نطحك الغاوي

جعل العرب من علته تاوي له

يامـــل قلــب في ســـنعهم داوي

لا يــسمع الداعــي ولا يوحــي لــه

أبــو مبيـــسم صـــافي متـــساوي

ويلــي علــيه وهــو بعــد ياويلــه

يـــا دن قلــبي دن نجـــر المـــاوي

لادنــه الجاهــل وجــا مــن حــيله

الشاوي كانت تطلق على الشخص الذي يهتم بالغنم، أو الذي حلاله غنم فقط وليس له شيء من الإبل، ثم أصبحت تطلق على سكان الجهة الجنوبية من العراق وما حول منطقة البصرة.

والنجر الماوي لكون أفضل الأنجار تصنع من حديد الماو، ولا يطلق المذكر على الرجل في حين يطلق المؤنث على المرأة فيسمي الرجل ابنته (ماويه)، والكل يذكر أشهر من تسمى بهذا الاسم وهي زوجة حاتم الطائي أشهر أجواد العرب في فترة ما قبل الإسلام.

ومن الأحداث التي تدل على الكرم والرجولة تلك المنافسة التي كانت ظاهرة للعيان بين الأميرين محمد بن جارالله وراشد بن

نديله وهما من شيوخ ومشاهير آل حسناء من البحيح، وهي منافسة على الطيب والرجولة ولم تكن منافسة لكسب المال أو على أبواب الردى والمعائب بل على العكس كانت في مجال الشهامة والنخوة والكرم والخصال النبيلة المحمودة، فكان كل شخص منهما يحاول أن يتفوق على صاحبه في هذه المجالات حتى لو اضطر إلى اتباع بعض الوسائل الطريفة أحياناً.

ومن هذه القصص انهم في أحد الأيام كانوا نازلين مع عربهم قريباً من أبو سمرة المكان الذي على حدود مدخل قطر والسعودية. كانوا راشد بن نديله قد علم أن التاجر عباس في الدوحة قد جلب نوعاً فاخراً من القهوة العربية فقرر راشد بن نديله الذهاب إليه على ذلوله طبعاً لشراء هذه القهوة لكي يتفوق فيها على ابن جارالله الذي سيشتريها بعده طبعاً وستكون له مفخرة السبق بهذا الناموس، عندما سار لذلك رآه بن جارالله وعندما علم انه يريد الدوحة قرر أن يرافقه وهنا وقع راشد في حيره لأنه سوف يرى هذه القهوة ويشتري منها وعند ذلك لا يكون له ناموس الأسبقية وعندها نزل إلى البيت ثم عاد وركبوا في اتجاه الدوحة.

كان نزول راشد للبيت لكي يأخذ مبلغاً كبيراً من المال وبذلك يشتري كميه أكبر من القهوة لكي يضع بن جارالله على أمرين لا ثالث لهما:

١- إما يشتري مثل راشد وبذلك لا تستطيع الذلول حمل الكميه فيضطر للمكوث وقتا في الدوحة.

٢- أن يشتري بن جارالله كميه بسيطة (وهو أمر مستبعد) وعندها يكون راشد قد تفوق عليه بحجم الكميه وهو كافي للفخر عليه. وعندما اشترى محمد بن جارالله كانت كميته كبيره بحيث لا يستطيع حملها مع كمية راشد وركوبهما أيضاً على الذلول فنزل محمد بن جارالله وقال لراشد اذهب أنت وسوف أدبر أمري. سار راشد وهو متوقع أنه سيصل قبل بن جارالله وسينتشر خبر هذه القهوة عنده بين الناس قبل عودته. أما بن جارالله فقد فكر في الأمر واتجه إلى الشيخ عبدالله بن جاسم آل ثاني وانشده القصيدة التي منها:

يا راكب اللي بعيد الخد يطونه

نجايبٍ من ضرايب جيش ابن ثاني

إمن الثميله ديار الخل يضونه

لا روحت بالوصايف جول غزلاني

تكفون يأهل النضاء سجو عليهنه

سجو ولجو وسيور العمر فاني

لا بد من خرقةٍ بيضاً على السنه

والموت من قبلنا ما عاف راكاني

فقال الشيخ عبدالله بن جاسم هذه الذلول التي تصفها في أبياتك ادخل أنت إلى مكان الركائب التي نملكها واختر منها افضل ذلول تعجبك وفعلا اختار الأفضل منها فسار عليها في طريق مغاير لراشد بن نديله الذي تفاجأ عند وصوله للعرب أن الناس مجتمعين في منزل بن جارالله يتناولون هذه القهوة قبل حضوره. ومن غزليات الأمير محمد بن جارالله قوله أيضاً:

يا هل الهجن خوذو بهن شله

اسرو الليل وأطراف الأيامي

كل شيٍ طراته على حله

بدلو سير الأنضاء بدرهامي

وانصدو راعي القذلة الهله

ضافيه من خلافٍ وقدامي

بو نهيدٍ كما مباري الدله

في يمين المقهوي اليا قامي

لا لفيت العرب بيته ادله

في هوا القلب يمشن الأقدام

الفهرس